سرب العصافير المهاجرة

عمالة الأطفال في مستعمرات الضفة الغربية

إعداد: عبد العزيز الصالحي

آب 2023

الفهرس

ملخص تنفيذي 2
تقديم 3
أهمية وهدف الدراسة 5
إشكالية الدراسة (السؤال الرئيسي) 5
منهجية الدراسة 7
غياب عملية الرصد لعمالة الأطفال في المستعمرات 8
عمالة الأطفال: من الزراعة المحلية إلى المستعمرات الزراعية 13
عمل الأطفال في المستعمرات الزراعية: من الأغوار شرقاً إلى أين؟ 16
أبرز التحديات في ملف عمالة الأطفال في المستعمرات والداخل 25
الثقافة العامة والوعي 26
المستعمرة وإعادة تشكيل فضاءات العمل 27
سماسرة العمل واستقطاب الأطفال 29
عمالة الأطفال ما بين "الفتحات" و"رفع حالة التأهب الأمني" 30
التوصيات 31
المصادر والمراجع 34
المقابلات الميدانية 35

فهرس الخرائط

الخارطة	الصفحة
خارطة رقم (1): المستعمرات الاحتلالية التي يعمل بها الأطفال الفلسطينيون في الأغوار الشمالية	19
خارطة رقم (2): المستعمرات التي يعمل بها الأطفال الفلسطينيون وفقاً لكريستفور ويتمان	21
الخارطة رقم (3): مستعمرة "دوليف" ومحيطها من القرى الفلسطينية شمال غرب رام الله	23

ملخص تنفيذي

أعد مرصد السياسات الاجتماعية والاقتصادية (المرصد) هذه الدراسة في العام 2023 في إطار العمل البحثي والمعرفي المتعلق والهادف لحماية حقوق الأطفال في ظل غياب البيانات الرسمية حول عمالة الأطفال في المستعمرات. ركزت الدراسة على تحديد نماذج والكشف عن ظاهرة عمالة الأطفال في أسواق الاحتلال، مع التركيز على أشكالها وتتبعها عبر المواسم والقطاعات. وركزت هذه الدراسة استكشافية على عمالة الأطفال في المستعمرات، واستخدم الباحث النموذج الاستقرائي نظرًا لغياب البيانات الرسمية حول هذه الظاهرة، مع التركيز على جمع المعلومات من خلال مقابلات فردية والمشاهدة. تشير البيانات الأولية إلى صعوبة رصد العمل في المستعمرات، مما استدعى الباحث إلى اعتماد النموذج الاستقرائي. تضمن المجتمع المدروس الأطفال العاملين في الضفة الغربية، واعتمد الباحث على بيانات أولية وثانوية من مصادر متنوعة لفهم وتفسير هذه الظاهرة.

قدمت الدراسة مجموعة من التوصيات التي تشمل زيادة عمليات الرصد في الطرق المؤدية إلى المستعمرات، مع تخصيص موارد مالية لهذا الغرض. كما تقترح توجيه منح لتسجيل الطلاب المستربين من المدارس في المعاهد المهنية، لتوفير فرص عمل لهم وتحسين مهاراتهم. وتشدد على أهمية التركيز على التوعية لدى الأهالي حول مخاطر عمل الأطفال، والتأكيد على أن هذه الظاهرة تعد تحديًا ثقافيًا واجتماعيًا. كما وشملت التوصيات تشمل أيضًا مراجعة الخطاب المجتمعي الذي يشجع على عمل الأطفال، ومحاسبة السماسرة في مختلف المحافظات. كما تطرح الدراسة وجوب التركيز على قطاع التعليم في المناطق المهمشة، مع التركيز على تحسين الظروف الاقتصادية والتعليمية. وأخيرًا، تشدد على أهمية إعادة النظر في سياسات التوظيف لتشمل المؤهلين من هذه المناطق، مع التركيز على تطوير المهارات وتحفيز الاقتصاد فيها.

تقديم

يُولد الفقر زيادة في انضمام الأطفال لأسواق العمل، كما وتولد غياب السياسات المتعلقة بالتعليم والاقتصاد والصحة ثغرات لتسلل الأطفال لسوق العمل، وتزداد هذه الاحتمالية في حالات الأزمات، إذ يؤدي تردي الأوضاع الاقتصادية لولادة أسواق جديدة غير منظمة تستقطب العاملين والعاملات من كافة الفئات العمرية. أشارت اليونيسف إلى أن طفلاً من بين كل 5 أطفال هو في سوق العمل في البلدان الأفقر في العالم، وينخرط الأطفال في جميع أنحاء العالم بشكل روتيني في أشكال عمل مدفوعة الأجر وغير مدفوعة الأجر في الأعمال التي تصنف غير ضارة بهم، كما ويتم تصنيفهم على أنهم أطفال عاملون عندما يكونون إما أصغر من أن يعملوا أو يشاركوا في أنشطة خطرة قد تعرض نموهم البدني أو العقلي أو الاجتماعي أو التعليمي للخطر.[1] وفي أقل البلدان نمواً، قد يصل العدد لطفل من بين كل أربعة أطفال (من سن 5 إلى 17) منخرط في عمل يصنف على أنه من الأعمال الخطرة المضرة بصحتهم ونموهم.[2]

وفي أوقات الأزمات، تزداد أعداد الأطفال العاملين والعاملات، على الرغم من أن الافتراض المسبق هو أنه في ظل ارتفاع نسب البطالة من البديهي أن يقل عدد الأطفال العاملين، لكن في ظل ازدياد الفقر المصاحب لازدياد البطالة، يصبح البحث عن لقمة العيش هو الأساس، وتصبح الفرصة متاحة لمن يسبق، خصوصاً أن خاصية انتظام العمل (العمل المنظم/المهيكل) تتآكل.

في الحالة الفلسطينية وفي ظل الاحتلال الإسرائيلي تصبح المسألة أعقد بكثير، إذ أن الاستغلال الاقتصادي مركب، ويأتي بشكل تراتبي من أعلى الهرم لأسفله وفقاً للفئات العمرية والنوع الاجتماعي. يعزى ذلك بشكل أساسي إلى وجود الاحتلال الإسرائيلي الذي ينهب المصادر الطبيعية من مياه وأراضي، ويسيطر على الأسواق الفلسطينية لتكون تابعة لاقتصاده، وتزايد المستعمرات الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية. بالإضافة إلى ضعف إدارة ملفات الحماية الاجتماعية من قبل السلطة الفلسطينية في ظل وجود الاحتلال.

[1]- UNICEF. "Child Labour: In the world's poorest countries, slightly more than 1 in 5 children are engaged in child labour". May 2022. Check the link: https://bit.ly/3KHVFzt
[2]- Ibid

بالتالي، تُنسب ظاهرة عمالة الأطفال في السوق المحلي وعلى صعيد العمل في المستعمرات للظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي يمر بها الفلسطينيون. وعلى الرغم من أن الحديث عن العمل في المستعمرات يمكن الإشارة له على أنه مسألة شبه حتمية في ظل وجود أسواق الاحتلال المفتوحة للأيدي الفلسطينية العاملة، حيث تشير البيانات الأخيرة الصادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء فإن عدد العاملين في الداخل المحتل والمستعمرات من الضفة الغربية وقطاع غزة وصل 193 ألفاً، منهم 156 ألفاً يعملون في الداخل و29 ألفاً يعملون في المستعمرات،[3] إلا أن هذه الأرقام لا تتحدث عن عمالة الأطفال في المستعمرات في الضفة الغربية.

إن نسبة الفقر التي وصلت في الضفة الغربية وقطاع غزة حوالي 29.2%،[4] أي ما يقارب ثلث سكان الضفة الغربية وقطاع غزة، وزيادة التحاق الخريجين بصفوف البطالة، تفتح الأبواب أمام الفلسطينيين للجوء لخيار العمل في الداخل المحتل والمستعمرات، إذ أن فرص التشغيل في القطاع الحكومي تكاد تكون معدومة في ظل الأوضاع السياسية التي يمر بها الفلسطينيون، والعمل في القطاع الخاص سقفه منخفض جداً، حتى وإن كان القطاع الخاص هو القطاع الأكبر من حيث التشغيل في الضفة الغربية وقطاع غزة إلا أنه مع غياب حماية حقوق العاملين والعمال والانتقاص منها يصبح استقطاب الفلسطينيين للعمالة في أسواق الاحتلال فرصة ذهبية لدى البعض.

وفي ظل هذه المعطيات جميعها، يبقى التساؤل حول أثر ذلك على الأطفال والأحداث، تحديداً فيما يتعلق بانخراطهم في سوق العمل، وكيف يمكن وصف واقع الأطفال والأحداث في سوق العمل، إذ إن موسمية وعدم انتظام العمل للبالغين ترمي بظلالها على العاملين من الأطفال، كما أن ازدياد العمالة في الداخل المحتل والمستعمرات، قد تترك مساحة أوسع لعمل الأطفال وبالتحديد الأحداث في السوق المحلي، حيث يُستبدل الحرفيون والمهنيون بأطفال جدد تحت عمر 18 سنة ليحلوا محلهم إذا ما توجهوا للعمل في الداخل المحتل أو المستعمرات. هذا لا يلغي فكرة أن "يهاجر" الأطفال في مرحلة ما من صفوف الدراسة إلى سوق

[3]- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. " رئيسة الإحصاء الفلسطيني تستعرض الواقع العمالي في فلسطين لعام 2022 بمناسبة اليوم العالمي للعمال (الأول من أيار)". نشر في تاريخ 30 نيسان 2023. انظر/ي الرابط التالي: https://shorturl.at/puzAW
[4]- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. "قائمة المؤشرات الرئيسية". انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3IrxrH0

العمل المحلي، ومن سوق العمل المحلي إلى أسواق المستعمرات، حيث تبقى هذه العملية مستمرة وفقاً للسياق الذي تأتي به حالة كل طفل على حِدا.

أهمية وهدف الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة في إطار المعرفة الهادفة لحماية الأطفال والحرص على تحصيل حقوقهم، كما تأتي في إطار غياب لعملية الرصد الكاملة لعمالة الأطفال التي تقتصر فقط على السوق الرسمي، إذ لا تقدم البيانات الرسمية أرقاماً حول أعداد الأطفال العاملين في الضفة الغربية وقطاع غزة في القطاعات غير الرسمية أو في المستعمرات. بالتالي، لا بد من التركيز على نوعية الحالات، والتي من الممكن اعتبارها "أشكالاً للعمل"، والتقديرات حول حجمها ونماذجها التي يمكن تتبعها وفقاً للمواسم والقطاعات المختلفة عبر منهجية هذه الدراسة. تهدف هذه الدراسة لإبراز ظاهرة عمالة الأطفال في أسواق الاحتلال، تحديداً المستعمرات، إذ إن غياب البيانات الرسمية حولها لا ينفي وجود حالات كثيرة، تتعلق بها.

إشكالية الدراسة (السؤال الرئيسي)

نظراً لخطورة وجود حالات لأطفال وعلى الصعيد الفلسطيني وعلى الطفولة في فلسطين المحتلة يعملون في المستعمرات الإسرائيلية، تكمن الإشكالية في هذه المسألة أنه وعلى الرغم من التأكيد على وجود عمالة أطفال في المستعمرات، إلا أنه لا يوجد أدوات لرصد وقياس هذه الظاهرة. ويؤكد العديد من الأفراد في الضفة الغربية أنهم سبق وعملوا في المستعمرات في سنوات الطفولة، لكن لا يوجد أرقاماً للاستدلال على هذه الظاهرة. وفي الوقت الذي تنفي فيه حكومة الاحتلال حالات لعمالة الأطفال في المستعمرات، تؤكد مؤشرات عدة أن الحالات موجودة ولا يمكن إنكارها حتى وإن صعب علينا جمع الأدلة حوالها، إذ يدعي ***ديفيد الهياني*** رئيس ما يطلق عليه "المجلس الإقليمي لوادي الأردن": "إنها كذبة مرعبة، لا يوجد مبرر لتشغيل الأطفال، ليس فقط أخلاقيًا وقانونيًا ولكن أيضًا اقتصاديًا ... هذه أكاذيب وتحريفات، مزارعو وادي الأردن لا يشغلون الأطفال"، في رده على التقارير

التي تناولت قضية عمالة الأطفال في المستعمرات ومنها تقرير Human Rights Watch الذي صدر عام 2015.[5] بعد ادعاءات الهياني بعدة سنوات، وتحديداً في العام 2022، حصلت حادثة أطفال عقربا الشهداء والتي أعادت النظر بشكل كبير لإثارة هذا الملف وإعادة التركيز عليه وإحياءه، إذ أن الحادث الأليم الذي أودى بحياة بتسعة أطفال من بلدة عقربا، جنوب شرق نابلس، مثلَ مشهداً مرعباً من تفاصيل الطفولة الفلسطينية وانتقاص من حقوق الطفل الفلسطيني وإطار حمايته. إذ لقي ثمانية فتية حتفهم في حادث سير بين مركبة خاصة وشاحنة لنقل الإسمنت على طريق سريع شمال مدينة أريحا بالقرب من قرية فصايل، أثناء عودتهم من العمل، وتراوحت أعمار الضحايا الثمانية ما بين 14 عامًا و17 عامًا، وتبعهم رفيقهم التاسع (16 عامًا) متأثرًا بجراحه من الحادث في صباح يوم 10 كانون الثاني/يناير 2022.[6] هؤلاء الأطفال التسعة ذهبوا ضحية واقع الظروف الاقتصادية الصعبة، والتي جعلتهم عمالًا في المستعمرات الإسرائيلية، وفقدوا حياتهم في طريق العودة من العمل في مستعمرة "تومر" المقامة شمال الأغوار إثر هذا الحادث المفجع.[7]

وفي ظل المؤشرات التي قدمت في مقدمة الدراسة حول مؤشرات الفقر والبطالة المرتفعة التي تعكس هشاشة واقع حياة الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة بالمجمل، وفي ظل ارتفاع عدد العاطلين عن العمل، تصبح الحاجة هي الدافع الأساسي للأفراد للعمل، لا الطموح، وهذا ينعكس على كافة فئات المجتمع. وفي ظل ازدياد نسب البطالة في الضفة الغربية وقطاع غزة، يعمل الاحتلال الإسرائيلي على فتح أسواقه أمام الأيدي العاملة الفلسطينية، مستغلاً الحاجة الاقتصادية للفلسطينيين. إذ تشير البيانات إلى أن سوق العمل في المستعمرات والداخل المحتل في تزايد لدى العاملين من غير الأطفال، وهو ما يعكس أن هنالك استقطاباً للعمالة الفلسطينية في أسواق الاحتلال وإن لم تكن معلنة، خصوصاً في قطاع غزة بعد إصدار قرار من قبل حكومة الاحتلال بفتح أسواق الاحتلال للفلسطينيين من قطاع غزة بالعمل (التصاريح وصلت حوالي 15,500 تصريح لغاية نهاية 2022).[8] ولو فرضنا جدلاً أن هذا الخيار غير متاح للأطفال، فإن الأيدي العاملة التي ستخرج من سوق العمل المحلي وتتوجه للعمل في

---

[5]– لانداو، إيدان. "الطفولة في خدمة الاستيطان: عمالة الأطفال في الأغوار"، **مدونة ايدان لانداو. نشرت في تاريخ** 30 نيسان/أبريل 2015. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3Z7fQeF

[6]– وكالة وطن للأنباء. "استشهاد طفل تاسع من مصابي حادث أريحا المفجع". نشر في تاريخ 10 كانون الثاني/يناير 2022. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3kwLzXt

[7]- إذاعة 24 أف أم. "مقاعد فارغة"، إذاعة 24 أف أم (24FM) (25 كانون الثاني/يناير 2022). انظر/ي الرابط التالي: https://24fm.ps/964.html

[8]- من موقع فلسطين أون لاين. **"**الإعلان عن آلية جديدة لتعامل الاحتلال مع تصاريح العمل في الداخل". نشر في تاريخ 04 ديسمبر 2022. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3Y2RQrZ

المستعمرات والداخل، ستستبدل بعاملين من فئة الأطفال. إذ أن نسبة البطالة العالية في سوق العمل في الضفة الغربية وقطاع غزة تكون الأولوية للعمل بها للبالغين، وفي حالة هجرهم لهذا السوق وتوجههم لأسواق الاحتلال، سيعمل مكانهم عاطلين عن العمل ومن المتوقع أن يكون من بينهم أطفال، خصوصاً وأن الظروف الاقتصادية لن تتحسن بمجرد فتح أسواق الاحتلال بشكل واسع للفلسطينيين نتيجة قصور في السياسات المتبعة على الصعيد المحلي.

ومن جهة أخرى، أعلنت حكومة الاحتلال الجديدة المتمثلة بنتنياهو عن نيتها زيادة المستعمرات في الضفة الغربية وتوسيعها،[9] وهي بالأساس مسألة لم تتوقف منذ بدء عملية الاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة، إلا أن اجتماع هذا العنصر مع تراجع قدرة التشغيل في الضفة الغربية وقطاع غزة، وزيادة نسب البطالة والفقر، تدفع بكل تأكيد الأطفال للعمل.

هذا يدفعنا للتساؤل بشكل جوهري حول الأشكال التي يعمل بها الأطفال في ظل عدم استقرار سوق العمل واتساع العمل غير المنظم وانفتاح سوق العمل الإسرائيلي للعاملين الفلسطينيين، وحول ما إذا كان الفراغ الذي يترك في سوق العمل الفلسطيني يحتله عاملون من فئات عمرية أقل. كما ويطرح تساؤلاً حول ما إذا كان هنالك اتساع في أنماط الإنتاج التي تستغل الطفولة للعمل في داخلها، وما هي التشكلات والنماذج التي تأتي أشكال عمل الأطفال تحت إطارها، سواء على صعيد السوق المحلي أم العمل في المستعمرات والداخل المحتل.

منهجية الدراسة

تعتبر هذه الدراسة استكشافية، حيث يتم البحث والخوض لحالات دراسية تتعلق بموضوع الدراسة (عمالة الأطفال في المستعمرات)، ويتم وصف الحالات وطبيعتها ومن ثم تقديم التفسير اللازم لهذا الشكل من "أشكال العمل". وتستخدم هذه الورقة في الاستدلال على النموذج الاستقرائي، إذ إنه وعلى الرغم من وجود بعض الإحصاءات الرسمية حول عمالة الأطفال في الضفة الغربية وقطاع غزة، إلا أنه لا يوجد بيانات تتعلق بالعمل غير الرسمي والعمل العائلي والعمل في المستعمرات. وبالرغم من أنه لا يوجد أدوات

[9]- من موقع الجزيرة نت. "أولوياتها توسيع الاستيطان وتشديد السيطرة على القدس.. الكنيست يصدق على حكومة نتنياهو". نشر في تاريخ 01 كانون أول 2022. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3XNFPqM

لقياس هذه الظاهرة، نظراً لصعوبة رصد العمل المنزلي، ونظراً لصعوبة رصد العمل في المستعمرات وفي الداخل المحتل، ارتأى معد الورقة أن يكون نموذج الاستدلال هو الاستقرائي، بحيث تتم ملاحظة الظاهرة وجمع المعلومات حولها عبر أدوات جمع المعلومات المتوفرة، للوصول إلى فكرة وجودة ظاهرة وتفسيرها.

وبخصوص أدوات جمع المعلومات، اعتمد الباحث على المقابلات الفردية للعمل على جمع البيانات الأولية، إذ عقد الباحث مجموعة من المقابلات مع ممثلي مراكز المسؤولية المختلفة، منها مدير عام الإدارة العامة للتفتيش وحماية العمل في وزارة العمل*، ومدير الإدارة العامة للأسرة والطفولة في وزارة التنمية الاجتماعية*، بالإضافة إلى ممثلي مجالس محلية وسكان المناطق التي ركزت عليها الدراسة. أضف إلى ذلك، أن الباحث استخدم المشاهدة كواحدة من الأدوات، إذ توجه إلى كل من قرية طمون وتحديداً سهل البقيعة لمشاهدة حركة الأطفال العائدين من العمل في مستعمرة "بقعوت"، وعلى مفرق قرى غرب رام الله من دوار مستعمرة "دوليف" لمشاهدة حركة وتنقل الأطفال في ذهابهم للعمل.

يضاف إلى البيانات الأولية مجموعة من البيانات الثانوية من مقالات ودوريات وتقارير رسمية وإحصاءات مرصودة متعلقة بظاهرة عمالة الأطفال، سواء على الصعيد المحلي أم في أسواق المستعمرات. ويمكن القول أن مجتمع الدراسة هم الأطفال العاملون من عمر 10 سنوات ولغاية 17 في الضفة الغربية والذين يقطنون في الأرياف المحاذية للتجمعات الاستعمارية في الضفة الغربية.

غياب عملية الرصد لعمالة الأطفال في المستعمرات

للحديث في هذه المسألة علينا أن نوضح أن عملية متابعة ملف عمالة الأطفال يقع تحت اختصاص ثلاث جهات رئيسية، وهي وزارة العمل، الشرطة والنيابة، والتنمية الاجتماعية. مع الإشارة إلى أن وزارة التنمية الاجتماعية كانت قد أطلقت نظام شبكة حماية

* الادارة العامة للتفتيش وحماية العمل هي الإدارة المختصة بمراقبة تطبيق أحكام قانون العمل، وتنظيم العلاقة ما بين أصحاب العمل وما بين العاملين، بمعنى أنها الضابط في العلاقة وفي تنظيم العلاقة وفي حفظ الحقوق للطرفين حسب ما نص عليه قانون العمل الفلسطيني والتشريعات المكملة للقانون وقرارات الوزراء طبعاً كله منصوص عليه في القانون هذه القضايا.

* الإدارة العامة للأسرة والطفولة تضم أربع دوائر متخصصة، دائرة كبار السن ودائرة حماية المرأة ودائرة دور الحضانة والأسر الحاضنة ودائرة حماية الطفولة. تعمل دائرة حماية الطفولة في جانبين، جانب الأطفال المعنفين أو من يتعرضون لاستغلال (أي شكل من أشكال الاستغلال)، إضافة إلى الأطفال الواقعين في خلاف مع القانون، أي الأطفال ممن يرتكبون جنح ومخالفات.

الطفولة في فلسطين، بدعم من الأمم المتحدة للطفولة 'اليونسيف' في آذار من العام 2008،[10] وهي موجودة في كافة المحافظات في الضفة الغربية وقطاع غزة وآخرها كان في محافظة القدس والتي شكلت في العام 2014 للعمل بشكل أوسع على منظومة لحماية الأطفال في الضفة الغربية وقطاع غزة، والتي تتبع لوزارة التنمية الاجتماعية، مع ضرورة أن الشبكة تضم مجموعة من المؤسسات في كل محافظة تحت مظلتها.[11]

تبدأ عملية الرصد والمتابعة من خلال مكاتب العمل، إذ يوجد لدى وزارة العمل أقسام مسؤولة عن المتابعة والتفتيش في الإدارة العامة، وتقسم داخل هذه الأقسام شُعباً في كل مديرية. يوجد لدى كل مديرية مفتش عمل مختص لعمالة الأحداث،* يطلق عليه اسم "مفتش الأحداث".[12] وهو من يتابع قضايا الأحداث وتنظيم عمل من سمح لهم القانون بالعمل (الفئة العمرية 15–18 سنة) ومنع كل من هم دون سن 15 سنة من العمل بشكل مطلق، أما ما بين 15–18 تنظيم عمله حسب نصوص القانون.[13] مع ضرورة الإشارة إلى أنه وحتى الأحداث المسموح لهم بالعمل تنطبق عليهم شروط عمل معينة وفقاً للتشريعات الفلسطينية بالإضافة إلى مفتش الأحداث، يوجد مفتشي السلامة، وهم مفتشو عمل أيضاً يتابعون سير العمل وفقاً لشروط السلامة المهنية. لدى مفتش العمل صلاحية بطلب مفتش السلامة في أي لحظة وأي موقع أو توجيهه لأي موقع. مفتش السلامة من الممكن أن يطلب من مفتش العمل متابعة القضية، ومن الممكن للجهتين أن يتابعوا قضايا معينة مثل التحقيق في إصابات العمل أو زيارة منشأة فيها العديد من المخالفات المتعلقة بشروط السلامة والصحة المهنية.[14] لكن لا يتم فصل عملهم عن بعضهم البعض نهائياً، عملهم مكمل لبعض، وعندما يكون هنالك حدث يقوم التعامل مع الحالة بشكل فوري وإبلاغ مفتش الحدث بشكل مباشر، يقوم مفتش الأحداث بالمتابعة في لحظتها.[15]

---

[10]- وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية. "وزارة الشؤون الاجتماعية تطلق نظام شبكة حماية الطفولة في فلسطين". نشر في تاريخ 19 آذار 2008. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3Z6qB0P

[11]- تلفزيون فلسطين – مقابلة مباشرة على الهواء مع محمد عطا منسق شبكة حماية الطفولة في وزارة التنمية الاجتماعية. أذيعت في تاريخ 05 أيار 2021. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3Y7U5tC

* كانت دائرة عمل الأحداث شعبة في الوزارة، ومن ثم تم تطويرها لتصبح قسم، ومن ثم أصبحت دائرة. بدأ العمل عليها في العام 2004، قبل العام 2000 كانت شعبة، ومن ثم بعد ال 2000 أصبحت قسم، ومن بدأ تطوير مقترح لتصبح دائرة والتي تم اعتمادها لتصبح دائرة في العام 2012.

[12]- من مقابلة أجريت مع مأمون عودة - مدير عام الإدارة العامة للتفتيش وحماية العمل في وزارة العمل | أجريت في تاريخ 02 شباط 2023.

[13]- المصدر السابق.

[14]- المصدر السابق.

[15]- المصدر السابق.

لا بد من الإشارة إلى أن بعض حالات الأطفال يعملون خارج أوقات دوام المفتشين الرسمية، في الفترة المسائية، فتصبح المسألة خارجة عن صلاحيات وزارة العمل، وتصبح من صلاحية الشرطة وإدارة حماية الأسرة متابعة المسألة بشكل مباشر، بالتعاون مع وزارة التنمية الاجتماعية.[16]

أما بخصوص وزارة التنمية الاجتماعية جانبين في مسألة رصد عمالة الأطفال (دون سن ال15) والتعامل معها، بدايةً الأطفال الذين يتم تحويلهم لمرشدي الحماية من مكاتب العمل، الذين يتم رصدهم عبر مفتشي عمل يقومون بزيارات دورية، بالتالي يتم رصد عمالة أطفال ويتم تحويلهم لمراكز الحماية.[17] الجانب الثاني أننا نعمل على جولات تفتيشية، شبكات الحماية يوجد فيها طاقم مختص من مفتشي طفولة ومفتشي العمل وقد يكون في بعض الأحيان وكيل النيابة معهم، يرصدون في كثير من الأحيان عمالة أطفال ويتم عمل دراسة اجتماعية عنهم وتحديد احتياجهم واحتياج أسرهم، وإذا ما كان هنالك أي استغلال يتدخل وكيل النيابة للمحاسبة القانونية.[18]

تحصل عملية الرصد هذه جميعها في إطار المناطق التي تستطيع مراكز المسؤولية التابعة للسلطة الفلسطينية تنفيذ مهامها فيها، لكن ماذا عن العاملين في المستعمرات؟ وفي المناطق التي لا تستطيع السلطة الفلسطينية تنفيذ مهامها فيها بحرية؟ بخصوص الأطفال العاملين في داخل الخط الأخضر (في الداخل المحتل)، يوجد آلية لاستلامهم عبر الشؤون المدنية، إذ يتم استلامهم عبر الحواجز أو الارتباط، ويقوم الارتباط بتسليمهم لشرطة حماية الأسرة ومن ثم تقوم وزارة التنمية الاجتماعية بالعمل معهم.[19] في العام 2022 قامت الوزارة بالعمل مع 113 طفلاً ضمن إطار السوق المحلي، في المقابل 37 طفلاً تم تحويلهم عبر الحواجز الاحتلالية.[20] ترى وزارة التنمية الاجتماعية أن هذه العملية متعبة، لأن هؤلاء الأطفال بحاجة لرزمة من الخدمات والتدخلات وإدارة الحالة، يحتاجون جهداً أكبر في العمل على صعيد الطفل وعلى صعيد بيئته، وهي مسألة بحاجة لشراكة مع وزارة التربية والتعليم لإعادتهم لمقاعد الدراسة، وبحاجة لشراكة مع وزارة العمل ليتم إرسالهم لمراكز التأهيل المهني.[21]

---

[16]- المصدر السابق.
[17]- من مقابلة أجريت مع محمد القرم - مدير عام الأسرة والطفولة في وزارة التنمية الاجتماعية | أجريت في تاريخ 09 شباط 2023.
[18]- المصدر السابق.
[19]- المصدر السابق.
[20]- المصدر السابق.
[21]- المصدر السابق.

إن الأطفال الذين يعملون في الداخل المحتل، هم بالأغلب أطفال عاملون في نمط "التسول المقنع"، وهي مسألة لها أبعادها السلبية الكارثية على عدة أصعدة، كمستقبل الطفل وانسحابه من التعليم، وحمايته في ممارسته للتسول المقنع، والأبعاد النفسية الجسدية التي قد تطرأ عليه خصوصاً أن هؤلاء الأطفال يتم تشغيلهم عبر "سماسرة" يقومون باستغلالهم.

في ورقة دراسية أصدرها مرصد السياسات بعنوان "التسول المقنع: الأطفال في شباك سماسرة التسول"، والتي أعدت في المنتصف الثاني من العام 2023، كشفت الدراسة أنه وخلال الأعوام 2018–2022، تم التدخل من قبل وزارة التنمية الاجتماعية مع أكثر من 190 طفلاً يعملون في الداخل ويتعرضون لاستغلال اقتصادي، وهذه الأرقام هي للحالات التي تم رصدها فقط، أي أن الأرقام فعلياً قد تكون أكبر بكثير مما تم رصده والتدخل لأجله.[22] وتكشف الدراسة أن الأرقام أعلى في السنوات السابقة، إذ كانت تصل تدخلات وزارة التنمية الاجتماعية لـ50–55 طفلاً يعملون في الداخل المحتل. هؤلاء الأطفال يتم استلامهم من الحواجز الاحتلالية، بالتحديد حاجز الجلمة في شمال الضفة الغربية. معظم الحالات التي تم رصدها هي من محافظة الخليل، بالتحديد يطا*، وبعض هذه الحالات تم تشغيلها عبر مشغل يقطن في الداخل المحتل (يحمل جنسية إسرائيلية)، وبعض المشغلين هم من الضفة الغربية.

يعتبر هذا شكلاً من أشكال "عمالة الأطفال" في الداخل المحتل، لكن يوجد أشكالاً أخرى لعمالة الأطفال في المستعمرات تحديداً، وذلك في الحقل الزراعي، وهي المسألة التي سنتناولها في العناوين القادمة من الورقة، مع الإشارة إلى أن ما تم أخذه ضمن إطار هذه الورقة هي حالات دراسية، وقد يكون أيضاً هنالك أشكال أخرى لعمالة الأطفال في الداخل المحتل لم ترصد لغاية اللحظة، خصوصاً وأن البيانات تشير إلى أن بعض الحالات التي تدخل للعمل في الداخل المحتل عبر السماسرة تذهب للعمل خلال فترات موسمية معينة تتعلق بالإنتاج الزراعي، إلا أن الأطفال يتجهون للتسول المقنع في نهاية المطاف.

سابقاً، قامت وزارة العمل بتشكيل فريق للرصد في أريحا مع شركاء من مراكز المسؤولية من الشرطة والنيابة والتنمية الاجتماعية، برزت إشكالية أساسية تكمن في أن منافذ دخول الأطفال للعمل في المستعمرات ليست واضحة، بمعنى أنه كان هنالك محاولة

---

[22]- الصالحي، عبدالعزيز. "التسول المقنع: الأطفال في شباك سماسرة التسول". رام الله: مرصد السياسات الاجتماعية والاقتصادية. تموز 2023، ص11. انظر/ي الرابط التالي: https://t.ly/l5VcD

* يطا مدينة فلسطينية تقع في الضفة الغربية، تبعد عن مدينة الخليل 12 كم جنوبًا، وعن مدينة القدس بحوالي 60 كيلو متر.

للرصد من منطقة معينة ليكتشف لاحقاً أن العاملين قد دخلوا من منطقة أخرى، فالعمال يدخلون من مناطق متعددة، لم تستطع وحدة الرصد تغطية جميع نقاط دخول العاملين سواء أطفال أو غيرهم، ولم تستطع أن ترصد حتى المواقع التي يعملون بها والمستعمرات، وللاعتبارات الأمنية وللسيطرة على المناطق أيضاً دور في ذلك، وهو ما تنسبه وزارة العمل لما حصل مع أطفال عقربا الشهداء، الذين خرجوا من منطقة خاضعة لأمن الاحتلال ويتنقلون عبر شوارع تابعة لأمن الاحتلال، ومن ثم يدخلون للمستعمرة للعمل.[23] يقول مأمون عودة "أنا من دير عمار، يعمل أطفال دير عمار في مستعمرة "البرية"، والتي لا يوجد للسلطة الفلسطينية أي تواجد، ولا يمكن الوصول لها، بالتالي كيف سنقوم بالرصد؟ جمع عملية التشغيل والتفاعل ببيئة عمل الأطفال ضمن بقعة جغرافية محددة، لا تخرج ملامحها للخارج".[24]

الاحتلال يلام في تشغيله للأطفال، لكن الاحتلال وسياساته واضحة، ولا يقلق الاحتلال بالطفولة ولا بالعاملين حتى وإن تستر بإطار قانوني ينظم العمل. لكن على الصعيد الفلسطيني تأتي مسؤولية ملقاة على عدة جهات أيضاً، وتحديداً في الأرياف، فلو أخذنا حادثة أطفال عقربا مثلاً، يقول محمد القرم بخصوصها "لا بد من أن رئيس المجلس المحلي بكل تأكيد يعرف عن الأطفال العاملين، ألا يوجد جهة في القرية تعرف عن هؤلاء الأطفال؟ لماذا لا يتجهون لماذا لا يشكون؟ العمل مع الأطفال يحتاج إلى شراكة كبيرة جداً، لأننا كجهات اختصاص قد لا نستطيع الوصول لجميع الأطفال، نحن بحاجة لطريقة معينة لزيادة الوعي ولعملية التحويل! وفي كثير من الأحيان يكونون على دراية بذلك، نحن قمنا بتنفيذ حملات توعوية في مناطق عديدة، وطلبنا منهم بأن من يشك بمسألة معينة يستطيع تبليغنا عنها!".[25]

تنتشر ظاهرة عمالة الأطفال، بشكل كبير في بلدة عقربا، وخاصة في المستعمرات الإسرائيلية، ويمكن الاستدلال على ذلك، من خلال أحاديث المؤسسات والفعاليات الموجودة في البلدة، ومن خلال ربطها بأعداد الأطفال في القرية حسب بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. يشير رئيس بلدية عقربا صلاح الدين جابر إلى أن هناك سببين رئيسيين لانتشار ظاهرة عمالة

[23]- من مقابلة مأمون عودة، ذكرت سابقاً.
[24]- المصدر السابق.
[25]- من مقابلة محمد القرم، ذكرت سابقاً.

الأطفال في المستعمرات في بلدة عقربا أكثر من غيرها من القرى مثل بيتا وحوارة، الأول عامل القرب من المستعمرات أو عمق القرب من الأغوار؛ والثاني أن لديها امتدادً زراعياً أكثر من القرى الأخرى.[26]

لا تملك النقابات سوى التثقيف والتوعية والضغط على الحكومة للقيام بدورها، هذا أقصى ما يمكن للنقابات القيام به، لكن يقترح البعض أنه من الممكن رصد العمال من خلال عدة طرق، أو من خلال رصد تحرك مركبات نقل العمال على طريق الأغوار أو بداية طريق الأغوار عند حاجز الحمرة الاحتلالي العسكري، في أوقات الصباح الباكر، حيث يمكن رصد وتتبع مركبات العمال، ولكن هنالك إشكالية أساسية أيضاً تكمن أن الأطفال وعائلاتهم لديهم قناعة بأنهم يحتاجون لهذا العمل لزيادة دخل العائلة لمواجهة متطلبات الحياة، فالواقع الاقتصادي السيء هو الدافع الرئيسي الذي يدفع الأطفال نحو العمل في المستعمرات.[27]

عمالة الأطفال: من الزراعة المحلية إلى المستعمرات الزراعية

قام الباحث بالتوجه لمنطقة سهل البقيعة في إحدى أيام السبت التي يعطل فيها الأطفال عن مدارسهم، وهي المنطقة التي يتوجه منها الأطفال من طمون وبعض القرى الأخرى للعمل في مستعمرة "بقاعوت". في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف، بدأت مركبات المشغلين بالعودة إلى القرى الفلسطينية ويستقلها العمال الذين يعملون في "بقاعوت" وربما مستعمرات أخرى قريبة، استطاع الباحث مشاهدة الأطفال الذين يستقلون المركبات في العودة، يلبسون ملابس خاصة بالعمل الزراعي، يلفون على رؤوسهم خِرقاً من القماش أو يلبسون قبعات تحميهم من أشعة الشمس، حتى أن بعضهم لا تستطيع رؤيته بشكل واضح لقصر قامته بجانب النافذة. في المنطقة يوجد "خندق" قام الاحتلال بحفره استكمالاً لبناء جدار يفصل السهل عن الشارع المحاذي لمستعمرة "بقاعوت"، وذلك ووفقاً لما يدعي الاحتلال، لدواعٍ أمنية، لذا لا يستطيع الأطفال الذهاب والعودة سيراً على الأقدام، مع أن هذا كان وارداً في فترة من الفترات وفقاً لسكان المنطقة، إلا أنه وبعد تصاعد الأحداث الأمنية في منطقة الأغوار، باتت الحركة بالمركبات هي الأكثر شيوعاً.

[26]– من مقابلة أجريت مع صلاح الدين جابر – رئيس بلدية عقربا | أجريت عبر الهاتف في تاريخ 26 أكتوبر 2022.
[27]- من مقابلة أجريت مع جلال بشارات – عضو اللجنة التنفيذية لاتحاد العام لنقابات عمال فلسطين | أجريت في تاريخ 02 أيلول 2023

قبل الخوض في مسألة عمالة الأطفال في المستعمرات الزراعية، لا بد من تسليط الضوء على مسألة في غاية الأهمية، وهي أن للقطاع الزراعي في فلسطين المحتلة خصوصية، إذ إن المشغل الفلسطيني في سوق العمل الزراعي الفلسطيني يلجأ لعمالة الأطفال لأن هنالك غياباً لعمالة البالغين من المزارعين، حيث أن سوق العمل في الداخل المحتل جاذب وبشدة للفئات العمرية من 18 وأكبر، يحصل العاملون على ما يقارب 200–300 شيقل يومياً، مقابل العمل الزراعي الذي قد يحصل الفرد من خلاله على 70–90 شيقلاً في الزراعة المحلية في أحسن الأحوال. بالتالي تسهيلات العمل في الداخل، وبشكل مخطط واستراتيجي ممنهج من الاحتلال، خلقت بيئة طاردة للعمل في السوق المحلي وجاذبة لأسواق الاحتلال، بذلك يغيب العاملون في الزراعة خلال المواسم الزراعية بشكل كامل، ويدخل الأطفال في هذا السوق محلياً.[28]

قام اتحاد لجان العمل الزراعي بدراسة في نهاية 2021 تتعلق بواقع العاملين في القطاع الزراعي، والتي ركزت على العمال الزراعيين بالقطاع الزراعي العاملين بشكل عام (ليس حصراً على الزراعة الموسمية)، لكن لم يكن فيها تركيز على الفئة العمرية. ويعزو الاتحاد عدم التركيز على الفئة العمرية لأن التركيز في الدراسة كان على موضوع العمالة الزراعية بشكل عام، مع أنه تبين ضمن الدراسة أنه يوجد نسبة خاصة في ظل العمالة الموسمية من يعملون تحت عمر 18 سنة في قطاع الزراعة بالمجمل، محلياً وفي المستعمرات الزراعية.[29]

ويعتبر موسم العطلة الصيفية التي تأتي بعد انتهاء العام الدراسي هو أكبر موسماً ينشط به عمل الأطفال، وهذا لأن الأطفال من العمر 10–17 سنة يتوقفون عن الذهاب للمدرسة. وهذا الموسم لا يرتبط بقطاع معين، إذ إن الأطفال العاملين يتوجهون للعمل في أي مهنة قد تكسبهم المال بشكل سريع، لكن وفقاً لضبابية المشهد حول العمل الأسري والزراعي، يتوجه العديد من الأطفال في الأرياف لمساعدة أهاليهم والعمل في الزراعة أو المشاريع الأسرية في العطلة الصيفية دون رصد للأرقام. في فترة المواسم، يكون الأطفال الراغبون في العمل على استعداد للعمل في أي قطاع من الممكن أن يكسبهم أجر بشكل سريع، وبالتحديد في فترة العطلة الصيفية على سبيل المثال لأنها فترة محدودة، ويمكن توفير مبلغ من المال لتغطية بعض الكماليات والمستلزمات الشخصية أو العائلية.[30]

---

[28]- المصدر السابق.

[29]- من مقابلة أجريت مع مؤيد بشارات - مدير دائرة الضغط والمناصرة في اتحاد لجان العمل الزراعي | أجريت في تاريخ 07 فبراير 2023

[30]- من مقابلة مأمون عودة، ذكرت سابقاً.

وهذا لا ينطبق فقط على العطلة الصيفية، بل أيضاً على عطلة ما بين الفصلين الدراسيين. مثلاً إذا ما أردنا الحديث عن جنين شمالاً في الضفة الغربية وصولاً إلى أريحا، ينشط في هذه المنطقة الإنتاج الزراعي، في فترة ما بين الفصلين (عطل لطلاب المدارس اللي وتكون في فصل الشتاء)، وكذلك الأمر في فترة العطلة الصيفية التي تبدأ من شهر حزيران لبداية شهر أيلول، هذه يكون فيها عدة مواسم زراعية. مثلاً في العروة الشتوية في الزراعة والتي بالعادة يتزامن معها عطلة ما بين الفصلين، تكثر زراعة البصل والبطاطا في سهل طوباس والنصارية، فتصبح عمالة الأطفال ملحوظة ما بين الفصلين في تلك المنطقة.[31]

قد يؤثر العامل الثقافي والخطاب المجتمعي على زيادة ظاهرة عمل الأطفال في العطل الصيفية وما بين الفصلين، إذ أنه وفي بعض الأحيان يكون وعي الأهل هو الدافع، ويأتي ذلك من باب أن يتعرف طفلهم على واقع السوق والعمل من منطلق "معرفة طبيعة الحياة"، ليصبح الطفل أصلب ولتصقل شخصيته وتصبح مداركه أوسع.[32] لكن الاعتقاد بأن عمالة الأطفال في المستعمرات تقتصر على العطلة الصيفية فقط وأيام العطل المدرسية وبعض المواسم هو في الغالب صحيح، لكنه ليس حالة تعمم، إذ لا تنتهي المسألة عند هذا الحد، فبعد قطف التمور على سبيل المثال وهي الفترة التي تمتد لمدة 45–50 يوماً، تصبح هنالك عمليات التعبئة في الأكياس المخصصة للتمور وتصنيفها، ومن ثم ينتظر الأطفال لغاية شهر فبراير لبدء عملية تنظيف مزارع النخيل، أي أن المسألة تمتد لما يقارب 5 أشهر.[33]كما أن الاعتقاد أن عمالة الأطفال في المستعمرات تقتصر على العمل في قطاع النخيل والعنب فقط هو اعتقاد خاطئ، فأينما كان هنالك عملاً زراعياً في المستعمرات يتجه الأطفال للعمل به.

إلا أنه وبالمجمل، فإن عمالة الأطفال في منطقة الأغوار وأريحا ولغاية جنين يمكن القول أن أساسها أنها جزء من العمالة العائلية الزراعية، هذه المنطقة جميعها زراعية، الأفراد يعملون فيها بالزراعة النباتية أو الحيوانية، نتيجة أن الإسرائيليين سيطروا على الأراضي والمراعي ومصادر المياه، بات المزارعون غير قادرين في الاستمرار بعملية الزراعة والأهالي باتوا غير قادرين في الاستمرار بالزراعة العائلية لإنتاج محاصيل تكفي لسد كل احتياجات العائلة. أصبحت العائلة تزرع بدلاً من 50 دونماً من 10–20 دونماً، بالتالي لم يعد هنالك ضرورة للأطفال للعمل في نفس المزرعة، لأن عاملاً أو عاملين يستطيعون العمل فيها.

[31]- من مقابلة مؤيد بشارات، ذكرت سابقاً.
[32]- من مقابلة محمد القرم، ذكرت سابقاً.
[33]- من مقابلة أجريت مع أحمد غوانمة - رئيس المجلس المحلي لقرية الجفتلك | أجريت في تاريخ 09 فبراير 2023.

ويعتبر ما ذكر سلفاً هو المدخل الأساسي لعمالة الأطفال في المستعمرات الزراعية، إذ مع انتقال العمل الأسري من الريف إلى المستعمرة، بحكم أن أسواق المستعمرات تدر أموالاً أكثر، ينتقل الأطفال مع أهاليهم للعمل في المستعمرات، وتدريجياً يصبح من الطبيعي أن يتوجه الأطفال للعمل في المستعمرات للعمل بالزراعة بشكل اعتيادي. لكن المسألة ليست بهذه البساطة، حيث أن لِ "سماسرة" العمل والمشغلين الفلسطينيين الذين يتعاقدون مع العمال في المستعمرات دوراً كبيراً، فالسمسار هو الحلقة التي تمنح تصريحاً غير رسمي لعمل الأطفال في المستعمرات.

عمل الأطفال في المستعمرات الزراعية: من الأغوار شرقاً إلى أين؟

يمكن القول أنه لا يوجد أرقاماً واضحة حول عمالة الأطفال في المستعمرات الزراعية في الأغوار، وهذا يمكن تبريره بأن حكومة الاحتلال تحظر عمل الأطفال بشكل عام، إذ يجب على العامل أن يحصل على تصريح للعمل في المستعمرة، لكن كيف يكون هنالك ثغرات يدخل من خلالها الأطفال للعمل في المستعمرات؟ يدرك المشغلون في المستعمرات أن عمالة الأطفال قد تضعهم تحت طائلة المسؤولية، لكن في ذات الوقت، لا يقلق كثيراً المستوطن بالأطفال الفلسطينيين، ولا حتى بالعاملين، ما يركز عليه هو الإنتاج والإنجاز السريع. لذلك يكون المخرج لهذه المسألة هي وجود سمسار فلسطيني يشرف على عملية التشغيل كوسيط ما بين المستوطن صاحب الصلاحيات في تشغيل المزرعة في المستعمرة، وما بين العمال. يقوم السمسار بتشغيل من هم أكبر من 18 سنة عبر تصاريح تتيح لهم الدخول للعمل داخل بيوت التعبئة والثلاجات (لأنها تتعرض للتفتيش والمراقبة)، ومن هم دون ال18 عاماً يقوم بتشغيلهم في مواسم القطف، وهي مواسم آلية العمل فيها خطيرة جداً، إذ يتم استخدام الرافعات الكهربائية فيها من أجل الوصول إلى الثمار المعلقة على الأشجار والنخيل، وهو ما يعرض الأطفال للإصابة من سعف النخيل والتي تكون بعض الإصابات منها خطيرة جداً، بالإضافة إلى التهديد القائم على الأطفال بأنهم قد يقعون من على الرافعات الكهربائية، كما والتعرض للدغات الأفاعي المميتة خاصة في درجات الحرارة العالية، حيث أن مواسم التمور هي أعلى درجات الحرارة في شهر آب وشهر تشرين أول في محافظة أريحا، بالإضافة إلى تعرضهم لضربات الشمس.[34] يعمل الأطفال في الخارج، وإذا ما دخلوا

[34]- من مقابلة مؤيد بشارات، ذكرت سابقاً.

إلى بيت التعبئة يدخلون للعمل دون إدراج أسمائهم في سجل المشغل الإسرائيلي، يستفيد الوسيط أو السمسار الفلسطيني من تبييض صورته أمام المستوطن الذي يدير المزرعة/المنشأة بأنه يقوم بتسيير الأعمال بشكل نظيف وسلس وقانوني، فالسمسار يقدم للمستوطن البيانات حول العاملين بالأرقام، إذ يقدم له عدد العاملين فقط، ولا يعطيه تفاصيل أخرى كالاسم والعمر وغيره.[35]

وعلى الرغم من عدم وجود أرقام دقيقة حول عمالة الأطفال في المستعمرات، إلا أنه قد قامت مجموعة من التقارير بمحاولة رصد عمالة الأطفال في المستعمرات الزراعية وغير الزراعية في الضفة الغربية، أو على الأقل نشاط الأطفال في العمل الزراعي وغير الزراعي داخل المستعمرات في الضفة الغربية. تمتد المستعمرات الإسرائيلية على كافة خارطة الضفة الغربية، إذ بلغ عدد المواقع الاستعمارية والقواعد العسكرية الإسرائيلية في نهاية العام 2020 في الضفة الغربية 471 موقعاً، تتوزع بواقع 151 مستعمرة و26 بؤرة مأهولة تم اعتبارها كأحياء تابعة لمستعمرات قائمة، و150 بؤرة استعمارية، و144 موقعاً مصنفاً بِ "أخرى"، وتشمل (مناطق صناعية وسياحية وخدماتية ومعسكرات لجيش الاحتلال).[36] وتعتبر المستعمرات الزراعية، والتي تتركز في منطقة الأغوار، جاذبة لعمالة الأطفال كون العمل في الزراعة يحتاج إلى أيدٍ عاملة ليست ذات خبرات عالية، خصوصاً في الفلاحة وقطف الثمار والتعبئة.

في تقرير صدر في العام 2009 أشار التقرير إلى أن عدد الأطفال العاملين في مستعمرة *"دفيئات بتسائيل"*، المقامة على الحدود مع الأردن، بـ 100 طفل قاصر، يعملون هناك خلال فترة الازدحام.[37]وكان مركز معاً التنموي في العام 2010 قد أفاد أن مستعمرة "ميكولا (Mechola)" كان عدد الأطفال العاملين فيها 17 طفلاً عاملاً خلال الإجازات، بينما مستعمرات "شادموت ميهولا (Shadmot Mehola)، مسكيوت (Maskiyot)، بقاعوت (Beqa'ot)، روعي (R'oi)، الحمرا (Hamra)، روتم (Rotem)" لا يوجد أطفالاً عاملين في مزارعها،[38]إلا أن المقابلات في هذه الدراسة أثبتت أنه على الأقل يوجد في "مسواه" وفي

---

[35]- المصدر السابق.

[36]- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. "د. عوض، تستعرض الذكرى السنوية 46 ليوم الأرض بالأرقام والإحصائيات". نشر في تاريخ 30 آذار 2022. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3JhXItA

[37]– كوركس، سيمون. "تحقيق صحفي يكشف: أطفال فلسطينيون يعملون في المستوطنات"، الحزب الشيوعي الإسرائيلي (11 شباط/فبراير 2009)، [بالعبرية]. انظر/ي الرابط التالي: http://bit.ly/3XCCCL4

[38]– Ma'an Development Center. "To Exist is to Resist: Save the Jordan Valley". 2010, page 21. Check the following link: https://t.ly/7Ssko

"بقاعوت" أطفالاً يعملون من بلدة طمون وقرية الجفتلك في تلك المستعمرات، بالإضافة إلى قرية العوجا والنصارية وفروش بيت دجن وقرى أخرى[39] (انظر/ي الخارطة رقم 1).

الخارطة رقم (1): المستعمرات الاحتلالية التي يعمل بها الأطفال الفلسطينيون في الأغوار الشمالية

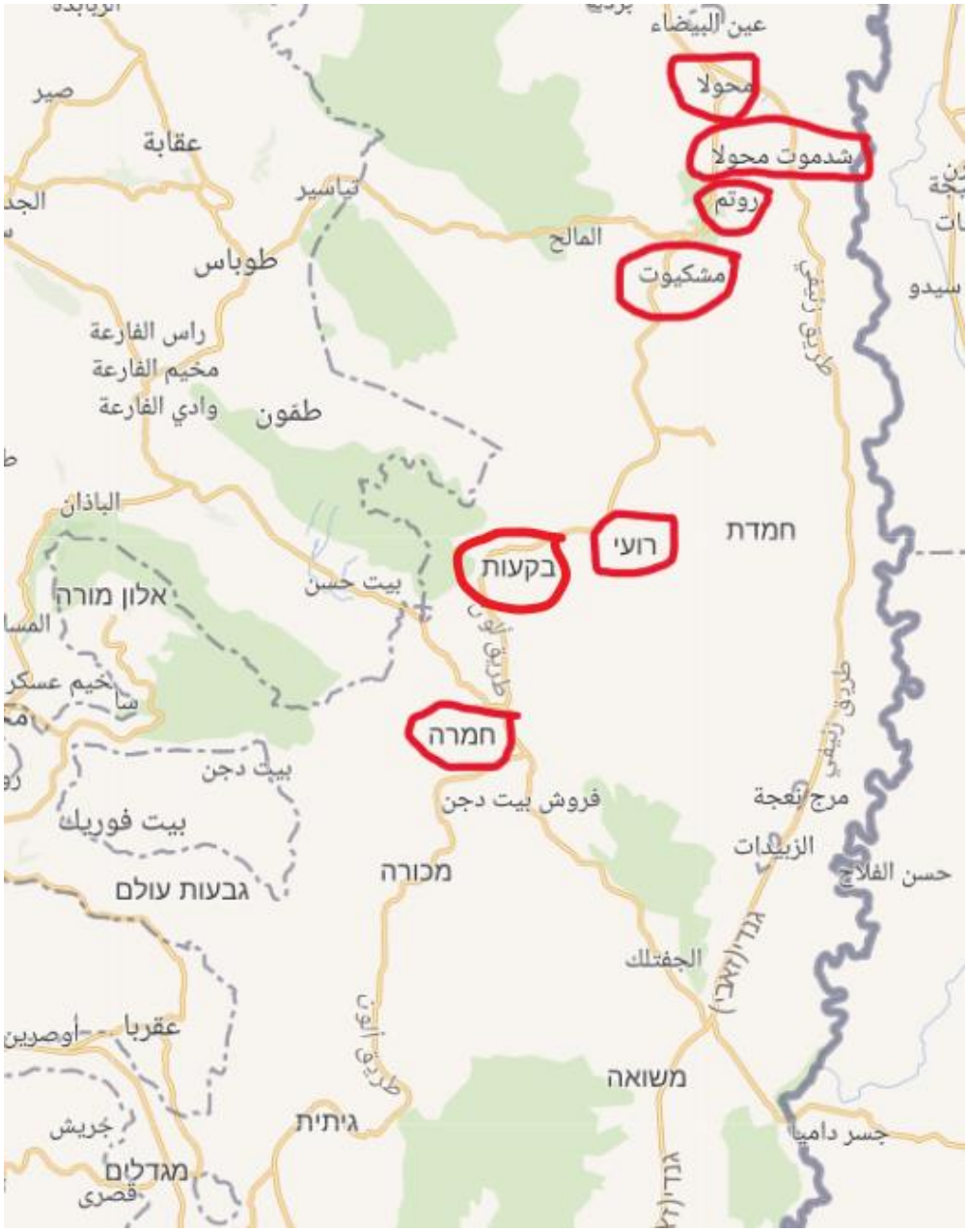

[39]- من مقابلة أجريت مع شريف أبو شما – رئيس بلدية طمون | أجريت في تاريخ 09 فبراير 2023.

بشكل عام تعد المستوطنات القريبة من طمون مستعمرات صغيرة نسبياً لا تستوعب عدداً كبيراً من العمال، بحكم أنها مستعمرات زراعية، إذ يتجه البالغون فيها للعمل في الداخل المحتل بحكم قدرتهم في الحصول على تصاريح للعمل (نتحدث هنا عن العاملين في أسواق الاحتلال لا للتعميم على جميع العاملين في طمون)، إلا أن عمالة الأطفال في المستعمرات تتركز عمالة الأطفال في بعض المواسم مثل (موسم العنب)، حيث تحتاج المستوطنات لعدد أكبر من العمال، فيتم جلب الأطفال للعمل.[40] ويعمل هؤلاء الأطفال في مستعمرة (بقاعوت) وهناك مستعمرة أخرى أبعد منها على طمون وهي (مسواة).[41] كل عائلة في طمون يوجد من يعمل في المستعمرات، بحكم وجود مستعمرات قريبة وطبيعة أن الإنتاج هو زراعي، إلا أن ما يجذب الأطفال للعمل أيضاً في طمون دافعها بشكل أساسي المال، حيث أن الأطفال باتوا يعتبرون أن المال أهم من التعليم، فبالنسبة للطفل الحصول على 70 شيقلاً بشكل سريع سيجعله يبدأ بالتفكير أن مستقبله يبدأ من هنا.[42]

وحسب الباحث ***كريستوفر ويتمان***، فإن المستعمرات المقامة على أراضي الأغوار التي تقوم بتشغيل الأطفال، هي: تومر (Tomer)؛ بيتزاعيل/بيت زايل (Petza'el)؛ أرجمان (Argaman)؛ يافت (Yafit)؛ نعامي (Na'ama)؛ نعران (Niran)؛ جلجال (Gilgal)؛ ناتيف هجدود (Netiv Hagedud)؛ كالية (Qalia)؛ وبيت هعرافاه (Beit HaArava)؛ روعي (Ro'i)"[43]. ومعظم هذه المستعمرات هي تمتد من الأغوار الوسطى إلى الأغوار الشمالية (انظر/ي الخارطة رقم 2).

[40]- من مقابلة جلال بشارات، ذكرت سابقاً.
[41]- المصدر السابق.
[42]- من مقابلة شريف أبو شما، ذكرت سابقاً.
[43]– Surrusco, Matt. "Palestine: Children Laboring," *World Policy Journal* 31, no. 1 (Spring 2014): page 83, December 2014. Check the link: https://shorturl.at/wEU45

خارطة رقم (2): المستعمرات التي يعمل بها الأطفال الفلسطينيون وفقاً لكريستفور ويتمان

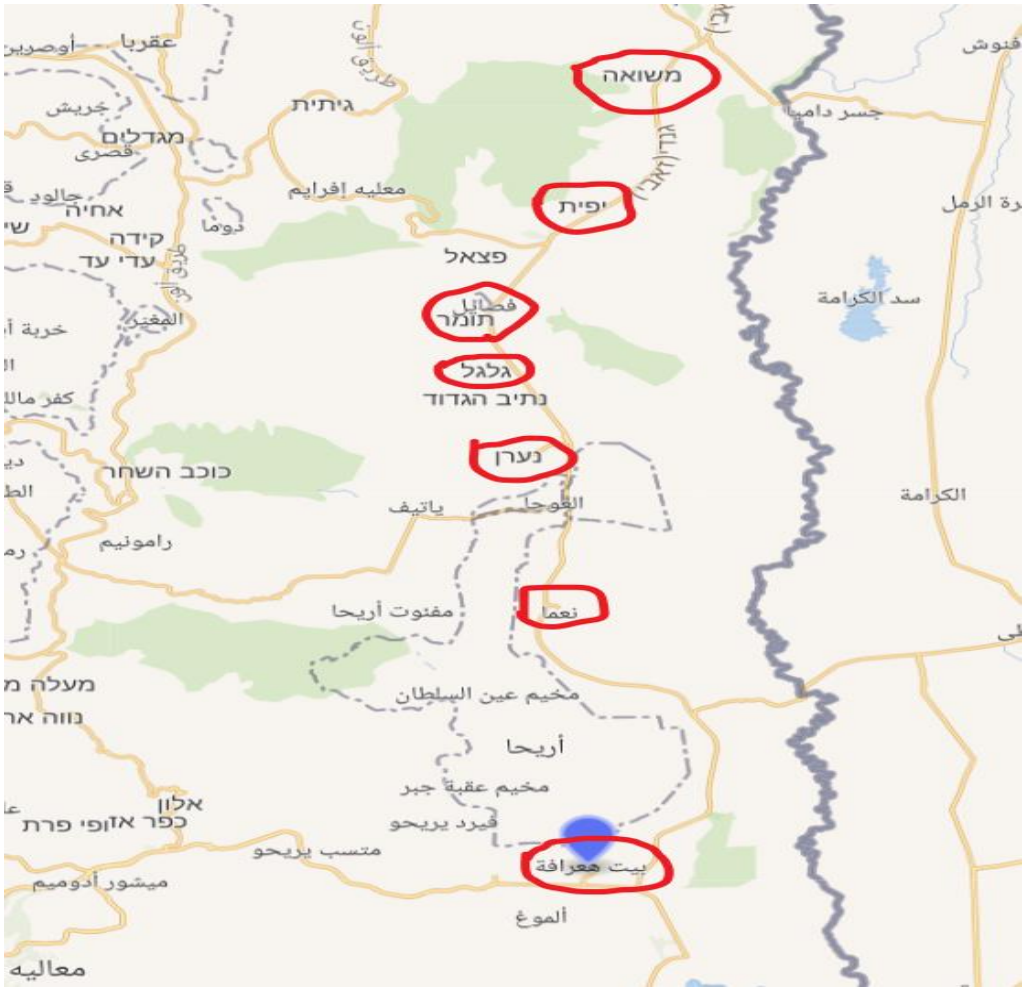

مصدر الصورة: الخارطة التفاعلية عبر Wikimedia maps

يؤكد رئيس المجلس المحلي لقرية الجفتلك أن عمالة الأطفال في المستعمرات منتشرة على طول شريط الأغوار من أريحا ولغاية عين البيضا، وعلى الرغم من أنه لا يمكن حصرها، إلا أن هذه الحالة تتجلى بصورة واضحة خلال العطلة الصيفية، وذلك بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعيشها الفلسطينيون في الأغوار.[44]وفي الوقت الذي تنتشر فيه 27 مستعمرة في هذه المنطقة،

[44]- من مقابلة أحمد غوانمة، ذكرت سابقاً.

بالإضافة إلى 4 معسكرات احتلالية ومدينة استعمارية يطلق عليها الاحتلال "معاليه أفرايم"، يوجد فقط 11 تجمعاً ريفياً (قرية) في الأغوار، وهذا يعكس زيادة المستعمرات عبر السنوات على حساب الأراضي الفلسطينية.[45]

هذا لا ينفي أن هنالك مستعمرات أخرى تقوم بتشغيل الأطفال في ساحاتها الخلفية، فمستعمرة "دوليف" التي تقع في ريف شمال غرب مدينة رام الله، يعمل الأطفال خلال العطلة الصيفية في مزارع العنب التابعة للمستعمرة، والتي تقع خارج حدود المستعمرة مما يشكل مهرباً قانونياً للمشغلين بأن الأطفال لا يعملون في داخل المستعمرة، بالتالي يحمي أصحاب مزارع العنب من المستوطنين أنفسهم من المساءلة أمام تشغيل الأطفال الذي تمنعه دولة الاحتلال، مع الإشارة إلى أن المعظم يؤكد على أن المستوطنين أصحاب المزارع يعرفون أن هنالك أطفال يعملون في المزارع، حتى وإن لم يقابلوهم.[46]

في مفترق الطرق بعد الخروج من قرية دير ابزيع وعلى بوابة قرية كفر نعمة، تبدأ الطريق التي تؤدي إلى الشوارع المشتركة ما بين الفلسطينيين والمستوطنين، في أعلى الطريق يستطيع المارون رؤية مزارع العنب التابعة لمستعمرة "دوليف" (انظر/ي الخارطة رقم 3).

[45]- المصدر السابق.
[46]- من مقابلة شريف أبو شما، ذكرت سابقاً.

الخارطة رقم (3): مستعمرة "دوليف" ومحيطها من القرى الفلسطينية شمال غرب رام الله

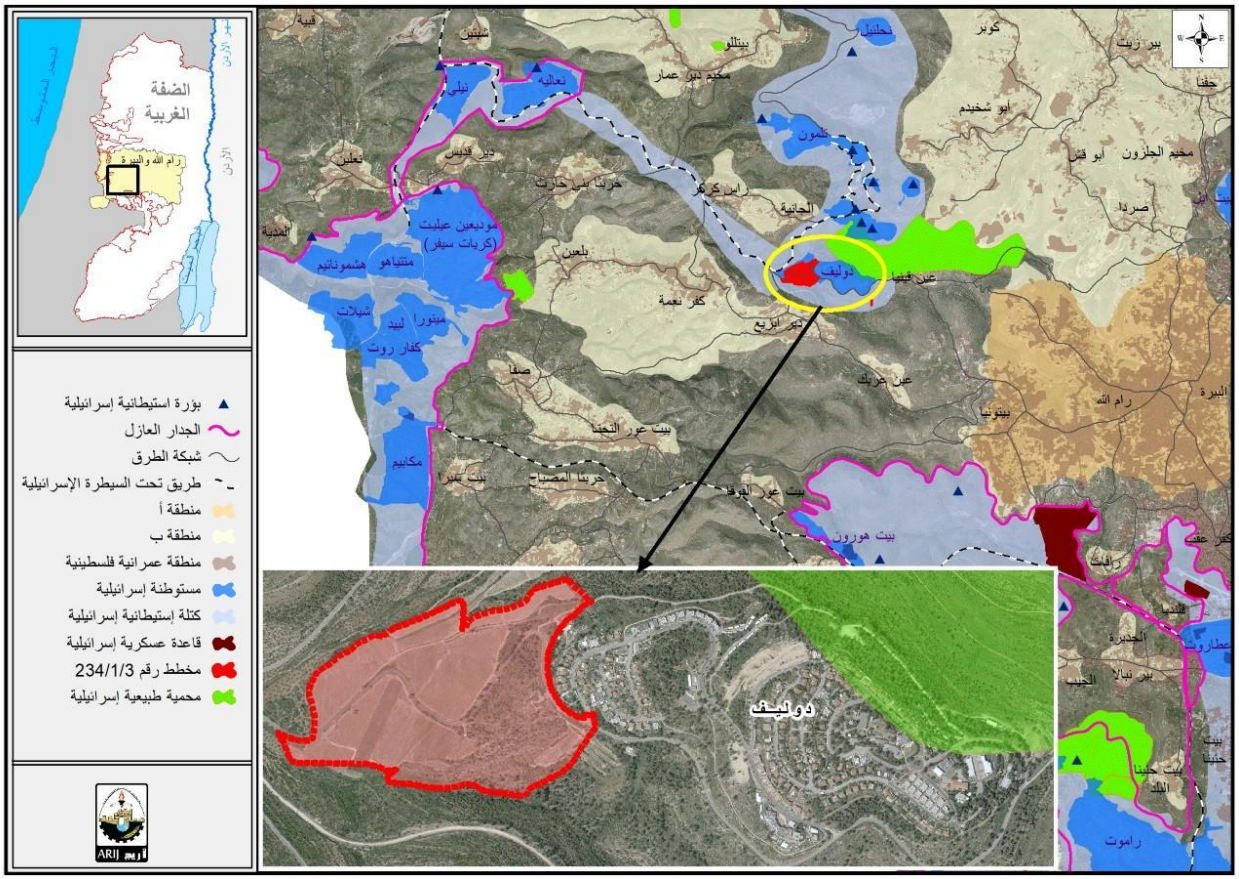

المصدر: معهد الأبحاث التطبيقية – القدس (أريج)

يؤكد أحد الأفراد الذين يقطنون بإحدى القرى المحيطة بمستعمرة "دوليف" أن الأطفال يعملون في مزارع العنب التابعة لِ "دوليف"، هؤلاء الأطفال من قرى مختلفة كقرية دير عمار ورأس كركر وقرية عين عريك ودير بزيع. يقول ب. س "جميع المنطقة تعرف أن الأطفال يعملون، يوجد مشغل (سمسار) فلسطينياً يقوم بتشغيل الأفراد في هذه المزرعة، هذه ليست مسألة طي الكتمان، فجميع القرى المحيطة تعرف من هو المشغل (السمسار)، مع ضرورة الإشارة إلى أنه ليس بثابت، حيث أن آلية تحديد المشغل تكون عبر عطاءات يتم نشرها ويتقدم لها المتعهدون (سماسرة العمل) وفي كل عام يتم إرساء العطاء على أحدهم".[47] بالتالي، فإن

[47]- من مقابلة أجريت مع مواطن فلسطيني يقطن في منطقة قرى شمال غرب رام الله.

مسألة التشغيل يدخل فيها المتقدم بعدد ساعات أكثر بأجور أقل، وبناء على ذلك تتم عملية اختيار المشغل. ويتابع ب.س قائلاً "إن المسألة نوعاً ما غريبة، نحن نشاهد الأطفال وهم ينتظرون المركبات لتقلهم لمكان العمل، وبالرغم من أننا نمر يومياً من حول مزارع العنب إلا أننا لا نرى الأطفال من بين كروم العنب، لذا لا نعلم تحديداً ما إذا كان عملهم يقتصر على قطف الثمار أم التعبئة أم التقليم أم غيرها...".[48]

ووفقاً لجهات الاختصاص، فإن المشغل (السمسار)، لا يهمه العمال من الأطفال، بل يهمه أكثر وجود عدد أطفال أكبر لتحقيق ربح أكبر لأن الطفل يتقاضى مبلغ أقل من العمال في الفئات العمرية الأكبر.[49]

مسألة العطاءات لم تثبت عبر المقابلات التي أجريت في الدراسة مع الجهات الرسمية في قرى الأغوار، إلا أن هنالك أفراداً من طمون والذين رفضوا أن تذكر أسماؤهم، أن هنالك أيضاً عطاءات يتم الإعلان عنها في منطقة طمون ويرسي على عائلات معينة. وبالعودة إلى الأغوار، في المواسم الزراعية من محافظات طوباس وأريحا والأغوار ونابلس، يوجد لا يقل عن 800 طالب مدرسة يعمل في هذه المواسم من هذه المحافظات فقط، بشكل موسمي لا بمعنى أنهم يستمرون للعمل في المستعمرات، لكن الرقم من الممكن أن يصل إلى 2,000 طفل في حال كان هنالك تسهيلات للعمل في الداخل. مثلاً، في العام 2021 بعد جائحة كورونا، لأول مرة برزت ظاهرة انتظار الطلاب لانتهائهم من الفترة المدرسية، أي من بعد الامتحانات، ليعمل الأطفال في موسم العنب، لأنه في حينها تسهيلات وكان هنالك أعمال متاحة أمام في العاملين في الداخل للبالغين، والتي تؤثر بشكل كبير على وجود العمال الزراعيين. من البديهي إذا ما تم فتح سوق العمل في الداخل للبالغين يتم استبدال السوق المحلي في الزراعة بأطفال.[50]

في قرية الزبيدات، يعمل الأب والأم والأطفال في مستعمرة "أرجمان"، في فترة الظهيرة، خاصة في أيام الإجازات، لا تجد أحداً في المنازل في الزبيدات ومرج نعجة، بالتحديد في قرية الزبيدات، يزرعون الذرة الحلوة والبامية والعنب والتمور، المستوطن يقوم بدفع الأجور للعامل كعامل عبر الوسيط/السمسار، لكن العائلة جميعها تساعد في العمل.[51]

---

[48]- المصدر السابق.
[49]- من مقابلة جلال بشارات، ذكرت سابقاً.
[50]- من مقابلة مؤيد بشارات، ذكرت سابقاً.
[51]- المصدر السابق.

قام الباحث بإجراء مقابلة فردية مع طفل من قرية الجفتلك عمل سابقاً في مستعمرة زراعية بالقرب من قرية فصايل بعد أن ترك التعليم، يبلغ الطفل أ.ج ما يقارب 14 عاماً وكان قد عمل في المستعمرة وهو في عمر 13 عاماً، تبين من المقابلة أن الطفل لا يميز فعلياً أن المنطقة التي عمل بها هي مستعمرة، هو يعلم فقط أنه يعمل "عند يهود"، ولصغر سنه لا يميز فعلياً أن هذا الكيان الذي يعمل به يطلق عليه مستعمرة.[52]لم يستطع معد الدراسة إكمال المقابلة بشكل كامل، تخوفاً من أن يصبح مسار المقابلة غير موضوعي للحصول على إجابات واضحة، ذلك لعدم إدراك الطفل حول غاية المقابلة ومفاهيمها لصغر سنه، إلا أن الطفل أكد أنه عمل مع من هم أكبر منه سناً في المستعمرة (في البلح)، بعضهم يدخن وفي بعض الأحيان يمازحونه بتقديم السجائر له ليجربها.[53] كان أ.ج يخرج الساعة الخامسة صباحاً ويعود الساعة الثانية عشرة ونصف للمنزل، يحصل خلالها على نصف ساعة فقط من الراحة، ويحصل على 100 شيقل في يوم العمل.[54] يؤكد أن كان معه أيضاً طفل يبلغ من العمر 16 عاماً، كان يصطحبهم مشغل من الجفتلك للعمل، يقوم بإيصالهم للمزرعة التابعة للمستعمرة، يقوم المشغل بالتفتيش على عملهم، ويوجه الشتائم لطبيعة عملهم في معظم الأحيان من باب الانتقاص من جودته، وعلى الرغم من أن المشغل يقوم بإيصالهم للعمل ولمنازلهم عند انتهاء العمل، إلا أنه في بعض الأحيان كان يتواصل معه هو والعاملين ليخبرهم أن يذهبوا للمنزل بأنفسهم، بالعامية "دبروا حالكم". يقول أ.ج أن معظم الأطفال في الجفتلك يعملون في مزارع النخيل، ويحصلون على نفس الأجر الذي يحصل عليه هو، لكنه ذكر أنه وخلال فترة عمله كان المشغل يقوم بتوبيخه بشكل مستمر لأنه "بطيء" في العمل.[55]يؤكد الطفل أن المشغل هو من جاء له وعرض عليه العمل ولم يذهب هو للبحث عن العمل،[56] وبرأي الباحث أن المشغل توجه للطفل لسؤاله للعمل من بعد ظروف صعبة عاشها الطفل نتيجة فقدان معيل الأسرة بشكل مباشر.

[52]- من مقابلة أجريت مع طفل من قرية الجفتلك في تاريخ 02 أيلول 2023
[53]- المصدر السابق.
[54]- المصدر السابق.
[55]- المصدر السابق.
[56]- المصدر السابق.

أبرز التحديات في ملف عمالة الأطفال في المستعمرات والداخل

من خلال المقابلات الفردية ومراجعة المصادر الثانوية للدراسة، يتبين لدينا مجموعة من التحديات التي يجب تركيز العمل عليها، وبشكل تقاطعي ما بين مراكز المسؤولية وجهات الاختصاص، إذ إن ظاهرة عمالة الأطفال في السوق المحلي وفي المستعمرات والداخل المحتل قد تذهب إلى ما هو أبعد من استغلال الأيدي العاملة. في هذه الجزئية من الدراسة سنقوم بالتركيز على أبرز العناوين التي تعكس تحديات يجب مجابهتها لضبط أشكال عمالة الأطفال على الصعيد الفلسطيني.

الصحة الجسدية والأمان

ذكرنا سابقاً في هذه الورقة، أن الأطفال يعملون بظروف قاسية في مزارع النخيل والعنب التابعة للمستعمرات، خصوصاً وأن هذه المواسم تأتي في ظل ارتفاع درجات الحرارة بشكل كبير جداً، كما أن استخدام الرافعات الكهربائية فيها من أجل الوصول إلى الثمار المعلقة على الأشجار والنخيل، يعرض الأطفال لخطر السقوط من علو عالٍ جداً قد يؤدي إلى وفاة أحدهم أو إصابته بالشلل، والإصابة من سعف النخيل والتي تكون بعض الإصابات منها خطيرة جداً، كما والتعرض للدغات الأفاعي المميتة خاصة في درجات الحرارة العالية، حيث إن مواسم التمور هي أعلى درجات الحرارة في شهر آب وشهر تشرين أول في محافظة أريحا، بالإضافة إلى تعرضهم لضربات الشمس.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الضبابية حول عمل الأطفال في المستعمرات، قد تحمل في خفاياها انتهاكات لا يعبر عنها الأطفال بتاتاً، وقد يخشى بعضهم التصريح عنها، مما يؤدي إلى ضرر نفسي كبير مصاحب للضرر الجسدي في الحاضر والمستقبل على هؤلاء الأطفال، وهي مسألة قد تزيد من معاناتهم على أصعدة متعددة.

لكن لا تنتهي المسألة هنا، حيث إنه لا يوجد أي ضمانات مستقبلية أن يتعرض الأطفال لما هو أكثر من ذلك من قبل المستوطنين أو جيش الاحتلال. ففي حادثة بعيدة عن عمالة الأطفال في المستعمرات، تعرض طفل حدث يبلغ من العمر 17 عاماً ويعمل على بسطة لبيع القهوة والمشروبات الباردة والساخنة، وتقع هذه البسطة على الشارع الرئيسي المسمى نابلس – رام الله وفي الجهة الجنوبية من بلدة حوارة جنوبي مدينة نابلس، لهجوم من المستوطنين الذين جاؤوا عليه بحوالي 25 سيارة من حاجز زعترة

الاحتلالي العسكري جنوبي حوارة واعتدوا عليه لفظياً وجسدياً بالعصي ورش غاز الفلفل عليه وتكسير وتحطيم بسطته أيضاً.[57] كما سجلت عشرات الحالات لاعتداء جيش الاحتلال على الأطفال العاملين في قطاع الصيد البحري في قطاع غزة واحتجازهم أو إطلاق النار عليهم وإصابة بعضهم بالرصاص الحي.[58]

بالتالي، إن اعتداء جيش الاحتلال أو المستوطنين على الأطفال العاملين في المستعمرات هي مسألة وقت، ولا يوجد أي اعتبار أخلاقي لدى هذه الجماعات وجيشها لتمتنع عن الاعتداء على الأطفال.

الثقافة العامة والوعي

"نحن نساهم أيضاً في زيادة حالات عمالة الأطفال في المستعمرات..."، هذه الكلمات التي قالها رئيس مجلس محلي الجفتلك عندما سألناه حول الدوافع وراء توجه الأطفال لعمالة الأطفال في المستعمرات، وهو يقصد ضعف السياسات الحكومية وتدخلاتها، بالإضافة العوامل والاجتماعية، تحديداً عامل الثقافة المجتمعية، إذ تعتبر الثقافة العامة عاملاً أساسياً في زيادة أشكال عمالة الأطفال واختلافها. وتساهم ثقافة العائلة في ذلك، حتى أنها كما ذكرنا في الدراسة في بعض الحالات يكون المشغل هو الأب، حتى في الأعمال خارج الإطار الأسري. وحتى وإن كان هنالك معرفة بعمالة الأطفال في المستعمرات أو في الداخل أو حتى في "الشارع"، لا يوجد إرادة مجتمعية للإبلاغ عن هذه الحالات، يوجد معرفة ويوجد وعي لكن لا يوجد نية للتوجه للإبلاغ.[59]

وبخصوص المناطق التي يحدها المستعمرات الزراعية كالأغوار، سواء الأطفال نفسهم أو أهاليهم تجري فيها عمليات مقارنة ما بينهم وبين أبناء القرية الذين تعلموا ولم يجدوا فرص عمل نتيجة أنهم أبناء الغور، وعاد للعمل في المستعمرات. هذا واقع، يوجد مصنع اسمه "جرين ريشت" في مستعمرة "مسواه" يستقطب جميع النخب من خريجي الجامعات مثل خريجي الهندسة الكيماوية والصناعية من الأغوار أو من المحافظات المحيطة وفتح لهم باب العمل ضمن تخصصاتهم، لكن اعتبرهم عمالاً، يشرف عليهم مهندس إسرائيلي. بمعنى أو بآخر تمت سرقتهم من أسواق العمل المحلية وتم صهرهم في سوق المستعمرات. وهذا واقع أيضاً على الصعيد المحلي بشكل أوسع، استقطاب خريجي الITوخريجي الطب. لذلك، يختصر البعض الطريق ويرون أن الطالب

[57]- تقرير خاص بالإفادة حصل عليه الباحث من مؤسسة الحق.
[58]- المصدر السابق.
[59]- من مقابلة محمد القرم، ذكرت سابقاً.

الذي لا يحصل على تحصيل علمي عال، يجب أن يخير ما بين العمل في السوق المحلي أو أن يجد سوق عمل آخر وهو طبعاً سوق المستعمرات.[60]

هذا يشجع جميع الأطفال للتوجه للعمل، إذ إن المقارنات ما بين الأطفال تصبح متاحة، وما بين الأطفال ومستقبل الخريجين متاحة، لذا يصبح التوجه للعمل من قبل الأطفال أوسع، وتصبح المسألة كالعدوى من طالب لطالب، لأن الحافز للعمل كأطفال ليس لأسباب اجتماعية بل هو حافز لإنفاق الأطفال على أنفسهم.

المستعمرة وإعادة تشكيل فضاءات العمل

من الممكن قبول فرضية أنه كلما زاد عدد العمال في الداخل وفي المستعمرات زادت الفرصة أمام الأطفال للعمل في السوق المحلي، وكلما زاد عدد المستعمرات زادت فرص عمل الأطفال فيها أيضاً، إذ إنه وبالضرورة وفي ظل غياب أي شكل من أشكال التنظيم على صعيد العمل والعمال في الضفة الغربية. يقول محمد القرم " من المنطق القول أن زيادة الأسواق وزيادة أماكن العمل تؤدي لزيادة العمل، للبالغين والأطفال هذا معروفاً. للأطفال العاملين محلياً ويحصلون على 50 شيقلاً في اليوم سيحصل على معلومة أنه يستطيع أن يحصل على ما هو أعلى من ذلك، بالتالي سيتجه الأطفال للعمل في المستعمرات. حتى الأسرة في كثير من الأحيان قد تدفع الأطفال لذلك، وهذا حصل فعلياً."[61]وكما ذكرنا في الدراسة، أينما وجدت "حدود" يوجد ثغرات، وأينما يوجد ثغرات يوجد فرصاً لتوجه الأطفال للعمل أو لتهريبهم للعمل في الداخل المحتل، وهو ما يحصل في يطا وفي عانين كحالات تم ذكرها في الدراسة.

لكن للمستعمرة وإعادة تشكيل إعادة فضاءات العمل انعكاسات على كافة العاملين في المناطق بما فيهم الأطفال، ولو أخذنا مثال على ذلك قرية العوجا، والتي كانت تستقطب عمالة زراعية عائلية من كل الضفة الغربية للعمل في مزارع الموز، كان مزارعو العوجا من الأفراد الذين يغدقون بالأموال لأنهم ملاكين للمزارع، وكانت العائلات الأصلية لا تعمل بل تستقطب عائلات من كل قرى الأغوار أو القرى الزراعية الأخرى للعمل في موسم الموز، اليوم العاملين من العوجا يعملون في المستعمرات المحيطة

[60]- من مقابلة مؤيد بشارات، ذكرت سابقاً.
[61]- من مقابلة محمد القرم، ذكرت سابقاً.

بالعوجا. خلال العشر سنوات الأخيرة، في منطقة العوجا لو تفحصنا الخرائط الإلكترونية، في منطقة العوجا المساحة الإجمالية 120 ألف دونم لغاية منتصف التسعينيات من القرن الماضي، كان هنالك 15,000 دونم موز، وفي الصور الجوية يظهر خلال 10 سنوات الأخيرة المناطق المزروعة، في المقابل لم يكن هنالك إلا 200 دونم مزروعة نخيل في مستعمرة "نعران" و"جلجال". في آخر 10 سنوات تضاعفت أكثر من 4 مرات المناطق المزروعة بالنخيل لهاتين المستعمرتين، مقابل زيادة المناطق الجرداء في العوجا، نتيجة سيطرة الاحتلال على نبع العوجا ونتيجة حفر الآبار ونتيجة السياسات الاستعمارية التي تستولي على الأراضي الزراعية.[62] في الوقت الذي كان الفلسطينيون بدأوا يزرعون النخيل فيه وصلت عددها في المستعمرات الزراعية حوالي 4 ملايين نخلة.[63] أضف إلى ذلك أن هنالك بقعة زراعية واسعة بين مستعمرة "يافيت" ومستعمرة "مسواه" كانت فارغة، لم يكن فيها زراعات، بينما اليوم على جانبي طريق 90 يوجد 10,000 نخلة، وكذلك الأمر في بيسان يوجد نخيل وفي "محولة" و"شدموت محولة" بدءوا بزراعة النخيل بالإضافة إلى الأعشاب الطبية التي يتم من خلالها السيطرة على أراضي الفلسطينيين والسيطرة على المياه.[64]

مثال آخر قرية الجفتلك، مستعمرة "مسواه" في يوجد فيها 27 مستوطن فقط، تستحوذ على 35% من مساحة الجفتلك، معظم العاملين في الجفتلك يعملون في مستعمرة "مسواه"، التي يوجد فيها أكبر ثلاجة في الأغوار، وتجذب هذه المستعمرة جميع العمالة الموسمية من معظم القرى كتياسير وطوباس وطمون ومن قرى نابلس وأريحا للعمل في التعبئة وتخزين التمور.[65] كذلك الأمر في فصايل يعملون في المستعمرات المحيطة مثل "تومر" و"جلجال"، وقرية العوجا والنويعمة والديوك ومن مخيم عقبة جبر وعين السلطان، نسبة عالية يعملون في المستعمرات المحيطة مثل "نعمه" و"بيت عرفاه" و"تومر" و"جلجال". يعمل العاملون في هذه المستعمرات خلال المواسم مثل موسم العنب وموسم التمور.[66] (انظر/ي الخارطة رقم 1 والخارطة رقم 2).

إن اتساع المستعمرات بكل تأكيد يؤثر على الطفولة في فلسطين المحتلة، ومن ضمنها ملف العمل، ولا يقتصر ذلك فقط على المستعمرات الزراعية، لكن يتم التركيز عليها لأنها الأكثر جذباً للأطفال، بل أيضاً ينطبق على المناطق المحاذية للجدار وفي محيط القدس المحتلة.

---

[62]- من مقابلة مؤيد بشارات، ذكرت سابقاً.
[63]- المصدر السابق.
[64]- المصدر السابق.
[65]- المصدر السابق.
[66]- المصدر السابق.

سماسرة العمل واستقطاب الأطفال

بخصوص سماسرة العمل في الداخل وفي المستعمرات، يجب على الجهات المختصة محاسبتهم بشكل رادع، إذ أن هؤلاء يعرضون الأطفال والأحداث لما هو أكبر من استغلال للأيدي العاملة من الأطفال، بل قد يعرضهم ذلك إلى انتهاكات أخلاقية صارخة.

لا يمكن تسهيل عمالة الأطفال في الداخل أو في المستعمرات إلا عبر وسيط، ويضرب مأمون العودة مثالاً على ذلك، حول الأطفال من منطقة نابلس والذين ينامون في الكراجات في أريحا، إذ لا يمكن الاقتناع بأن الأطفال قاموا باستئجار هذه المنشأة للنوم فيها، بكل تأكيد يوجد مشغل قام باستئجارها.[67]

ويمكن القول أن سماسرة العمل أعادوا تشكيل صور العمل لجميع فئات المجتمع، خصوصاً في القطاع الزراعي، اليوم أصبحت المسألة تعتمد على سماسرة العمل في المستعمرات بشكل أساسي.

ومن المهم جداً الإشارة هنا إلى مسألة في غاية الأهمية: فيما يتعلق بعمالة الأطفال في المستعمرات، يوجد حالات استثنائية يكون فيها نمطان من التعاقد للعمل، إما العمل عبر مشغل (سمسار) أو من يعملون دون وسيط أو مشغل وبشكل مباشر، من يعملون مع سماسرة يحصلون على 70–85 شيقلاً، بينما من يعمل بشكل مباشر من الأطفال يحصل على 120–130 شيقلاً، لكن النمط الثاني نادراً ما يحصل.[68]

تبين المقابلات الميدانية أنه وقبل 5 سنوات لم نكن نسمع أن هنالك عاملين من محافظة نابلس يعملون في المستعمرات الزراعية في الأغوار، اليوم أصبح هنالك قسمان من العاملين: الذكور والإناث، يأتون من مخيمي بلاطة وعسكر ونابلس المدينة، يعملون في المستعمرات خلال فترة المواسم، خاصة موسم التمور وموسم العنب.[69] هذه الظاهرة لم تكن موجودة قبل 5 سنوات على الأقل، لم يكن من المتعارف عليه أن يكون هنالك عاملون أو عاملات في المستعمرات الزراعية من وسط محافظة نابلس، كان المعظم من الجزء الشرقي من محافظة نابلس كالنصارية والعقربانية، بالإضافة إلى العاملين من محافظة طوباس ومحافظة أريحا من قرية الجفتلك ولغاية قرية العوجا هم من يعملون بالمستعمرات.[70]

---

[67]- من مقابلة مأمون العودة، ذكرت سابقاً.
[68]- من مقابلة أحمد غوانمة، ذكرت سابقاً.
[69]- من مقابلة مؤيد بشارات، ذكرت سابقاً.
[70]- المصدر السابق.

ما دفع العاملون للعمل في المستعمرات الزراعية من مخيمات نابلس ومن المدينة هو تردي الحالة الاقتصادية العامة للفلسطينيين، لم يكن هنالك في الثقافة العامة لدى تلك المناطق أن يعمل النساء ضمن الفئات العمرية الصغيرة في العمر، لولا الحاجة الاقتصادية لما اندفع أبناء وبنات المخيمات ومدينة نابلس من النساء للعمل في المستعمرات بالتحديد في القطاع الزراعي.[71] ما زالت هذه المسألة حساسة لديهم، ولم تكن كحالة معممة، في حين اليوم يتهافت الأفراد لدفع أبنائهم وبنتاهم للعمل في المستعمرات، إذ لا يوجد بديل اقتصادي فلسطيني، ويوجد غياب للسياسات التشغيلية الفلسطينية. الخريجون لا يجدون وظائف اليوم وهو ما يعطي مؤشراً حول من يخرجون منذ الطفولة من المدرسة.[72]

أبعد مستعمرة عن مدينة نابلس هي مستعمرة "بيت هعرافاه" وهي بحدود البحر الميت، في العام 2022 وعلى أقل تقدير كان يأتي ما يقارب باصان من 50 راكباً وراكبة من فئة الشباب، ذكوراً وإناثاً، للعمل في تعبئة التمور، هذا الرقم لم يسمع سابقاً في الأغوار بمعنى أن تأتي مجموعات عاملين وعاملات من خارج الأغوار للعمل في مستعمرات بعيدة لهذه الدرجة، هذا جميعه بتسهيل من السماسرة.[73]كما أنه وفي وخلال المواسم الزراعية بات الكثير من العاملين من قرى تياسير وعقابة وبلدة طمون والجفتلك فيها نسب عالية جداً يعملون في المستعمرات، بالإضافة إلى قريتي مرج نعجة والزبيدات.[74] أتاحت الصلاحيات الممنوحة لسماسرة العمل إعادة تشكيل البنية الاجتماعية لا تسهيل العمل فقط، إذ أن هذه التنقلات وتسخير قرى بأكملها لصالح العمل في المستعمرات لم تكن بهذا الشكل سابقاً.

عمالة الأطفال ما بين "الفتحات" و"رفع حالة التأهب الأمني"

تعتبر الفتحات أو الثغرات الموجود عبر الجدار الفاصل ما بين الضفة الغربية والداخل المحتل والثغرات الموجودة في محيط المستعمرات نقاط أساسية لدخول الأطفال للعمل، وهو ما نستشفه من ظاهرة عمالة الأطفال في الداخل والتي ذكرت سابقاً في الدراسة. إذ أن مناطق "التهريب" هي الأكثر خصوصية وهي التي يجب التركيز عليها بشكل أكبر، "المناطق الحدودية" يجب التركيز عليها بشكل أكبر، وكل محافظة يوجد فيها منطقة تهريب، ومنطقة التهريب التي يوجد فيها حركة أنشط تجد فيها عمالة أكثر، كنعلين مثلاً غرب رام الله، القرى المحيطة بالقدس مثل قرية قطنة، مناطق التهريب هذه جميعها.[75] ويؤكد مأمون العودة

---

[71]- المصدر السابق.
[72]- المصدر السابق.
[73]- المصدر السابق.
[74]- المصدر السابق.
[75]- من مقابلة مأمون عودة، ذكرت سابقاً.

أن جميع هذه المداخل يتم رصدها من طرف الاحتلال، حتى أن جيش الاحتلال كان في بعض الأحيان يقوم بإرشاد الأفراد للفتحات، بمعنى أن العملية منظمة! وعندما يحصل "حدث أمني" يقومون بضبطها، ويقومون بإقفال الفتحات أو الثغرات، إلا في حالات قليلة جداً.[76] يقول مأمون العودة في هذا الشأن " يكون هنالك حالة استقرار لفترة 6 أشهر، فجأة تنقلب الصفحة بشكل كامل، يصبح هنالك حواجز وطرد واعتقال حتى للموجودين تحت أعين شرطة الاحتلال في الداخل، عندما يكون هنالك "حدث أمني" مثلاً، تذهب شرطة الاحتلال مباشرة إلى أماكن عمل العمال الفلسطينيين، هم يعرفون مواقعهم تماماً، ويتم جمع كل من يعمل دون تصريح عمل في ليلة واحدة وترحيلهم... المسألة مدروسة ومخططة".[77]

يؤكد مؤيد بشارات ما أشار إليه العودة من وزارة العمل، إذ في العام 2021 بعد جائحة كورونا، لأول مرة برزت ظاهرة انتظار الطلاب لانتهائهم من الفترة المدرسية، أي من بعد الامتحانات، ليعمل الأطفال في موسم العنب، لأنه في حينها تسهيلات وكان هنالك أعمال متاحة أمام في العاملين في الداخل للبالغين، والتي تؤثر بشكل كبير على وجود العمال الزراعيين. من البديهي إذا ما تم فتح سوق العمل في الداخل للبالغين يتم استبدال السوق المحلي في الزراعة بأطفال.[78] يقول بشارات "سوق العمل في الداخل المحتل جاذب وبشدة للفئات العمرية من 18 وأكبر، وهي الفئة التي تستطيع الحصول على تصريح عمل، أو حتى من الممكن العمل عبر الفتحات الموجودة في السياج أو الجدار الفاصل الذي أقامته دولة الاحتلال لدواعي أمنية وفقاً لحجتها، والتي من الممكن أن يتسلل من خلالها الأطفال للعمل".[79]

التوصيات

تبنى التوصيات في هذه الورقة بناءً على الواقع المادي، سواء الاقتصادي أم على صعيد البنية التحتية، الذي يعيشه الأطفال في المناطق المهمشة تحديداً في منطقة الأغوار والمناطق المهمشة في مناطق (ج). وحتى وإن كانت المسألة باتت متغلغلة بالثقافة المجتمعية لدى بعض العائلات في قرى مختلفة، فإن المقابلات الميدانية أثبتت أن المسألة تتجاوز الريف وتصل للمدينة، كالحال

[76]- المصدر السابق.
[77]- المصدر السابق.
[78]- من مقابلة مؤيد بشارات، ذكرت سابقاً.
[79]- المصدر السابق.

في مدينة نابلس التي تعاني من أوضاع اقتصادية صعبة نتيجة إجراءات الاحتلال وسوء توجيه السياسات وتنفيذها محلياً، لذا لا يجب تجاهل خلق واقع أفضل في هذه المناطق. تقدم هذه الدراسة مجموعة من التوصيات:

- من الممكن زيادة عمليات الرصد عبر نقاط معينة ومسارات موجودة في الطرق المؤدية إلى المستعمرات الزراعية وغيرها، وهذا يمكن تحقيقه إذا ما كان هنالك إرادة حقيقية لدى صانعي السياسات والجهات التنفيذية لذلك، مع تخصيص موازنات لعمليات الرصد.
- من الممكن أن تخصيص منح وتسهيل تسجيل الطلبة المستربين من المدارس في المعاهد المهنية القريبة على المناطق التي يتوجه فيها الأطفال للعمل في المستعمرات، وذلك لإكسابهم خبرة عملية تؤهلهم للعمل لحين بلوغهم السن القانوني للعمل، وأيضاً في السوق الفلسطيني المحلي الذي بات خالياً من العمالة الفنية والحرفية.
- الأسباب والدوافع المؤدية لعمل الأطفال في المستعمرات الإسرائيلية تكاد تكون مماثلة في مختلف المناطق، وإن كانت جميع الأدبيات ركزت وتحدثت على الدوافع الاقتصادية والسياق الفلسطيني في ظل الاستعمار وتراجع النظام التعليمي كأسباب رئيسة تدفع الأطفال للتوجه للعمل في المستعمرات، إلا أن رأينا البعد الثقافي المجتمعي للعائلات يساهم في انتشار هذه الظاهرة، ويشجع الأطفال على العمل. لذا، يجب التركيز على توعية الأهالي فيما يتعلق بأبعاد هذه المسألة، فإذا كانت حكومة الاحتلال تمنع أطفال المستعمرين من العمل وتغمض العين عن أطفال الفلسطينيين للعمل فهي لغايات استراتيجية ترسمها حكومة الاحتلال.
- يجب أيضاً مراجعة الخطاب المجتمعي الذي يشجع في بعض المناطق الأطفال والأحداث على العمل، من منطلق التعرف أكثر على تحديات الحياة والتعرف على السوق وتوزيع المسؤوليات، لأن هذا يمهد لتسرب الأطفال والأحداث من المسارات الطبيعية التربوية والمنظمة إلى الأسواق والأعمال التي قد لا تكون فيها أي شكل من أشكال الحماية.
- يجب ملاحقة السماسرة في كافة المحافظات، ومن غير المسموح التذرع بصعوبة الأوضاع الاقتصادية في هذه القضايا، إذ أن هنالك تهديد مجتمعي كامل يصاحب عملية تشغيل الأطفال في المستعمرات، حيث يتم استغلالهم لصالح مراكمة رأس المال للسماسرة. خصوصاً، وأن المشغلين في معظم المناطق معروفين، وهم أبناء هذه المناطق، ويتغاضى المعظم عن ملاحقتهم خوفاً من إحداث خلل في النسيج الاجتماعي في هذه المناطق.

- بما أن الحكومة الفلسطينية تضع المناطق المهمشة على سلم أولوياتها، وفق ما تدعي، يجب أن يكون التركيز في الإنفاق في قطاع التعليم تحديداً على هذه المناطق، تحديداً في منطقة الأغوار والمناطق المهمشة في مناطق (ج)، حيث تسود هذه المناطق حالة عامة من الإحباط ناجمة عن سوء الأوضاع الاقتصادية فيها، مما يدفع الأطفال للهرولة خلف المال السريع عبر العمل في المستعمرات.
- يجب أن تكون الأولوية في التوظيف الحكومي وغير الحكومي للعاملين في هذه المناطق، حيث فقدت المهارة والخبرة والتعليم قيمتها بين أوساط العاملين من هذه المناطق، نتيجة ازدياد صفوف البطالة بينهم وقلة الأجور.

المصادر والمراجع

- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. " رئيسة الإحصاء الفلسطيني تستعرض الواقع العمالي في فلسطين لعام 2022 بمناسبة اليوم العالمي للعمال (الأول من أيار)". نشر في تاريخ 30 نيسان 2023. انظر/ي الرابط التالي: https://shorturl.at/puzAW
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. "قائمة المؤشرات الرئيسية". انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3IrxrH0
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. "د. عوض، تستعرض الذكرى السنوية 46 ليوم الأرض بالأرقام والإحصائيات". نشر في تاريخ 30 آذار 2022. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3JhXItA
- الصالحي، عبدالعزيز. "التسول المقنع: الأطفال في شباك سماسرة التسول". رام الله: مرصد السياسات الاجتماعية والاقتصادية. تموز 2023. انظر/ي الرابط التالي: https://t.ly/l5VcD
- تلفزيون فلسطين – مقابلة مباشرة على الهواء مع محمد عطا منسق شبكة حماية الطفولة في وزارة التنمية الاجتماعية. أذيعت في تاريخ 05 أيار 2021. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3Y7U5tC
- لانداو، إيدان. "الطفولة في خدمة الاستيطان: عمالة الأطفال في الأغوار"، مدونة ايدان لانداو. نشرت في تاريخ 30 نيسان/أبريل 2015. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3Z7fQeF
- موقع الجزيرة نت الالكتروني. "أولوياتها توسيع الاستيطان وتشديد السيطرة على القدس.. الكنيست يصدق على حكومة نتنياهو". نشر في تاريخ 01 كانون أول 2022. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3XNFPqM
- موقع فلسطين أون لاين الالكتروني. "الإعلان عن آلية جديدة لتعامل الاحتلال مع تصاريح العمل في الداخل". نشر في تاريخ 04 ديسمبر 2022. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3Y2RQrZ
- موقع إذاعة 24 أف أم الالكتروني. "مقاعد فارغة"، إذاعة 24 أف أم (24FM) (25 كانون الثاني/يناير 2022). انظر/ي الرابط التالي: https://24fm.ps/964.html
- كوركس، سيمون. "تحقيق صحفي يكشف: أطفال فلسطينيون يعملون في المستوطنات"، الحزب الشيوعي الإسرائيلي (11 شباط/فبراير 2009)، [بالعبرية]، http://bit.ly/3XCCCL4
- وكالة وطن للأنباء. "استشهاد طفل تاسع من مصابي حادث أريحا المفجع". نشر في تاريخ 10 كانون الثاني/يناير 2022. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3kwLzXt
- وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية. "وزارة الشؤون الاجتماعية تطلق نظام شبكة حماية الطفولة في فلسطين". نشر في تاريخ 19 آذار 2008. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3Z6qB0P
- UNICEF. “Child Labour: In the world’s poorest countries, slightly more than 1 in 5 children are engaged in child labour”. May 2022. Check the link: https://bit.ly/3KHVFzt
- Ma’an Development Center. “To Exist is to Resist: Save the Jordan Valley”. 2010. Check the following link: https://t.ly/7Ssko

- Surrusco, Matt. “Palestine: Children Laboring,” World Policy Journal 31, no. 1 (Spring 2014): page 83, December 2014. Check the link: https://shorturl.at/wEU45

المقابلات الميدانية

- مقابلة مأمون عودة – مدير عام الإدارة العامة للتفتيش وحماية العمل في وزارة العمل | أجريت في تاريخ 02 شباط/فبراير 2023.
- مقابلة محمد القرم – مدير عام الأسرة والطفولة في وزارة التنمية الاجتماعية | أجريت في تاريخ 09 فبراير 2023.
- مقابلة صلاح الدين جابر – رئيس بلدية عقربا | أجريت عبر الهاتف في تاريخ 26 أكتوبر 2022.
- مقابلة جلال بشارات – عضو اللجنة التنفيذية لاتحاد العام لنقابات عمال فلسطين | أجريت في تاريخ 02 أيلول 2023
- مقابلة مؤيد بشارات – مدير دائرة الضغط والمناصرة في اتحاد لجان العمل الزراعي | أجريت في تاريخ 07 فبراير 2023
- مقابلة جلال بشارات – عضو اللجنة التنفيذية لاتحاد العام لنقابات عمال فلسطين | أجريت في تاريخ 02 أيلول 2023
- مقابلة شريف أبو شما – رئيس بلدية طمون | أجريت في تاريخ 09 فبراير 2023.
- مقابلة أحمد غوانمة – رئيس المجلس المحلي لقرية الجفتلك | أجريت في تاريخ 09 فبراير 2023.